



موسوعة القرى الفلسطينية

قسم دراسات القرى



بلدة باقعة الشرقية محافظة طولكرم

الباحث:

الأستاذ مروان الماضي

باحث ومؤرخ وتربوي

2025م



بلدة برقة الشرقية محافظة طولكرم

تأليف

الباحث والمؤرخ والتربوي مروان الماضي

تدقيق لغوي: علاء الدين نمر

تنسيق وتنضيد: عبد القادر الحمرة

تصميم الغلاف: محمد الدلو

إصدار

موسوعة القرى الفلسطينية - قسم دراسات القرى

2025



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

48

إهداء

إلى أجيال فلسطين والعرب أجمعين نذكرهم بأهمية فلسطين

فلسطين هذا الاسم العذب الذي تنطق به كل شفة ويتردد على كل لسان، تطرب لسماعه الأذان وتتكل به الجفون والعينان، تهفوا له القلوب وتترنم بهوائه المشاعر والقلوب تبكي لفراقه وعيون المهاجرين تنقطر لاحتلاله الباقيين والمباعد من أصحابه عرب فلسطين.

لم تمضي ثمانية أو دقيقة خلال قرن من الزمان (من وعد بلفور عام 1917 حتى عامنا هذا 2017) إلا ويذكر اسم فلسطين فيه أجواء الكون تحمله موجات الأثير المسموع منها والمرئي والمقروء حتى باتت فلسطين تملأ الدنيا وتشغل الناس.

لماذا كان لفلسطين هذه الأهمية لأصحابها وللعرب والعالم أجمعين؟

- موقعها الذي يصل قارات العالم القديم (آسيا، أوروبا مع أفريقية).
- إنها صلة الوصل بين جناحي العرب في آسيا والجناح العربي الإفريقي.
- تتميز تضاريسها بساحل طوله 240 كم يطل على البحر الأبيض المتوسط وهو البوابة الواسعة للجزيرة العربية والعراق والأردن وجنوب سورية على البحر المتوسط.
- فيها السهول الخصبة والهضاب المكسوة بالخضرة من نباتات وأشجار برية وزراعات من حبوب وبقول وأشجار مثمرة من كل الأنواع كروم وزيتون وتين ولوزيات وحمضيات وهي أرض السمن والعسل.
- فيها قمم الجبال المكسوة بالثلوج بالجرمق وكنعان بصفد وفيها أخفض نقطة في العالم في البحر الميت -435 م تحت سطح البحر.
- هي مهبط الأديان السماوية (يهودية - مسيحية - مسلمون).
- تمازجت فيها الحضارات القديمة مصرية كنعانية بابلية آشورية كلدانية وآمورية ويونان ورومان وفرس وغيرهم.
- عبرتها الجيوش الجرارة وجرت فيها المعارك الفاصلة مثل معركة عين جالوت وحطين.
- انتقت فيها البضائع والسلع من الكتان والسكر والقطن المصري مع التوابل الهندية والبن والصمغ اليمني والتمور العراقية والبروكار الحريري الدمشقي والسجاد الفارسي والزجاج الخليي والأصبغة الفينيقية.

تقديم

عندما يذكر اسم مروان الماضي يشعر المرء أنه أمام شخصية مميزة استثنائية من حيث الثقافة الواسعة والخبرة الحياتية الغزيرة بالمعلومات وامتلاك ادوات البحث والنزعة الإنسانية التي تحكمها قيم الحرية والعدالة والمساواة ولهذا كله أو بسبب هذا كله عددت اهتماماته: فهو الأديب، الكاتب، المؤلف، المثقف، الملتزم المعلم، والتربوي الكبير... إلخ.

كلها اهتمامات تصب في بوتقة واحدة: بوتقة محبة الوطن فلسطين ففي كل حركة وفعل تبدو فلسطين النازفة ماثلة أمام عينيه تستحوذ على فكره وعقله وإحساسيه. ويدرك الأستاذ مروان "أن الوطن" فلسطين قد تعرض لأبشع صور الاستعمار الاستيطاني له أيديولوجية خاصة وهذا فرض ممارسات استعمارية مثل إزالة القرى من الوجود ومحو الأسماء وطمس المعالم وسرقة الآثار وتشويه التراث وتزييف الوثائق ونفي الهوية الوطنية وإفناء الوجود المادي لأبناء فلسطين وأصبح الصراع صراع وجود.

وتؤدي هذه الممارسات إلى احتلال الذاكرة ويدرك الأستاذ مروان الماضي أن احتلال الذاكرة أخطر من احتلال الأرض على اعتبار فقدان الذاكرة هو فقدان الشخصية الفلسطينية ماضيها وحاضرها ومن ثم مستقبلها، ولهذا اختار نسقا خاصا في الكتابة يتمثل في:

كتابة التاريخ الجغرافي والاجتماعي والثقافي والسياسي للقرى والمدن الفلسطينية وهو نسق خاص في التأليف يعتمد على التوثيق والدقة وإجلاء الوثائق يهدف الى شحذ الذاكرة الوطنية الفلسطينية وجعلها حية متوهجة وفاعلة على الدوام، ولهذا فإن كتاباته تتدرج في إطار واجهة ومجابهة الممارسات الصهيونية أي تتدرج في إطار أدب المقاومة إذا استخدمنا كلمة أدب بالمعنى العام.

ويبدو أن شحذ الذاكرة وهي مهمة وطنية وملحة في محاولات التذويب والطمس والنفي كلها فرضت كتابة تتصف بالشمولية، وعندما يكتب عن مدينة الطيبة مثلا نراه يبدأ من التسمية والموقع الجغرافي ثم ينتقل إلى البعد التاريخي للغزوات والتضحيات ثم النشاطات الاقتصادية مثل الزراعة وادواتها وعلى الحياة الثقافية وما تتطلبه من ذكر الأعلام والأدباء والمبدعين والمدارس والتعليم والمؤسسات والمراكز الثقافية دورها في إحياء التراث وحماية الهوية الوطنية من الذوبان إلى الفولكلور و غناء ودبكات إلى مقاومة الظلم وإبراز التضحيات في سبيل الوطن وكل هذه المحاور ترصع بالصور والخرائط والبيانات الأخرى ويسعى هذا الجهد التوثيقي العلمي إلى:

- تأكيد الحق للفلسطينيين عبر التاريخ

- تأكيد خصوصية الشخصية الوطنية
- الحفاظ على كل شئ (إحياء اللهجة والعادات وكل شئ يؤكد ملامح الشخصية الوطنية وقسماتها).

ولا أريد هنا أن أخص للقارئ ما كتبه المؤلف لأنني حريص على أن يقرأ القارئ ما كتبه المؤلف حتى يشعر حرارة للإخلاص بالحبس الوطني الصادق بالتماهي مع المكان وناسه وتاريخه ويمنح العلم والمعرفة أهمية بارزة وبإيمان يقيني بحق العودة وتحرير فلسطين ووحدّة العرب.

د.شكري عزيز الماضي

المقدمة

جاء اختيار الصهاينة عزل أنفسهم عن المجتمع العربي الفلسطيني من دخولهم أرض فلسطين، واستخدموا كل الأساليب العنصرية في بناء مجتمعهم الخاص فأقاموا المستعمرات المغلقة وبشكل خاص المزارع الجماعية (كيبوتز وموساف) واستطاعوا بناء 50 مستعمرة حتى عام 1935 واستمروا في تحويل الأراضي فيها لمصلحتهم، ثم أخذ عددها ينمو ويتطور، وكانت هذه المستعمرات هي التشكيل الأساسي لتنظيم زراعي اجتماعي عسكري ليصبح وسيلة فاعلة من وسائل التحدي للمقاومة العربية وتكوين مجتمع قادر على حماية نفسه في ظل الخوف الذي جلبه لنفسه من المقاومة العربية.

وقد أدى هذا الموقف الانطوائي إلى توسيع الهوة والمسافة الاجتماعية وزيادة العداء بين بين سلطة الاحتلال والعرب وترسيخ الكراهية والحقد بين أصحاب أرض فلسطين والغزاة الأغراب الذين جاؤوا ليجعلوا صاحب الأرض غريباً في أرضه.

إن المجتمع الغربي الأوروبي الأمريكي ثم الروسي الذين اشتركوا في زرع إسرائيل وسط بحر من العرب الذين يحاربون الوحدة ويرضون الخنوع حتى للبغاث الذي يجعلوه نسرأ في بلادنا وحولوا ديارنا نهباً للطامعين حتى باتت جيوشنا تدمر بيوتنا عوضاً عن حما الوطن وليس على عدو افتراضي هل حماس الولايات المتحدة الأمريكية في مساعدة إسرائيل ومناصرتها ظالمة كانت او مظلومة رغم تحديها للمجتمع الدولي حتى أصبحت عبئاً على حلفائها؟ هل وقوف الغرب الاستعماري وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية في خدمة إسرائيل ها هذا الحماس هو حباً، حباً باليهود أم كرهاً بالعرب؟

والجواب عندي هو أن زعماء الصهاينة المفسدون في الأرض إفساداً سرمدياً سيكون سلوكهم مدمراً لهم بعد أن وصلوا في ذروة من الأمل في قوتهم وتباهيهم بما حققوه من طموحات وإذا لم يعترفوا بظلمهم للعرب فإن الميزان ليس مستقراً في العالم وسيكون دمارهم على يد من صنعهم وسيعودون قردة خاسئين إن لم يؤمنوا بالسلام بإقامة دولة علمانية منفتحة تعي السلام مع إخوانهم العرب والخاتمة للمتقين.

المؤلف

الفهرس

إهداء	5
تقديم	6
المقدمة	8
الفصل الأول لمحة جغرافية	11
الموقع والحدود	11
الطبيعية والثروة الحيوانية في بلدة باقة الشرقية	13
الطيور والحيوانات البرية	16
الفصل الثاني لمحة تاريخية	19
الفصل الثالث الحياة الاقتصادية	26
الزراعة	26
الصناعة	29
الفصل الرابع التعليم وأعلام باقة الشرقية	30
الفصل الخامس (السكن الديوان التقويم الشعبي الأمثال)	32
العادات والتقاليد	32
التقويم الشعبي	32
الطب الشعبي	33
الأصل والنسب	35
الفصل السادس الفولكلور الفلسطيني في بلدة باقة الشرقية	44
الغناء	44
الفصل السابع مجازر الصهيونية في شعب فلسطين	60
الفصل الثامن ثقافة المقاومة	66



67.....	التمثيل والمسرح
73.....	بدر عبد الله إبراهيم الأعمى (لأما)
76.....	الفصل التاسع سياسة الانتداب البريطاني في إقامة دولة "إسرائيل"
76.....	في الزراعة
83.....	الفصل العاشر مجازر الصهيونية في شعب فلسطين
89.....	الفصل الحادي عشر انتفاضات شعب فلسطين
91.....	الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة)
93.....	الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى)
95.....	الانتفاضة الثالثة انتفاضة القدس لنصرة الأقصى
97.....	المصادر والمراجع

الفصل الأول

لمحة جغرافية

الموقع والحدود

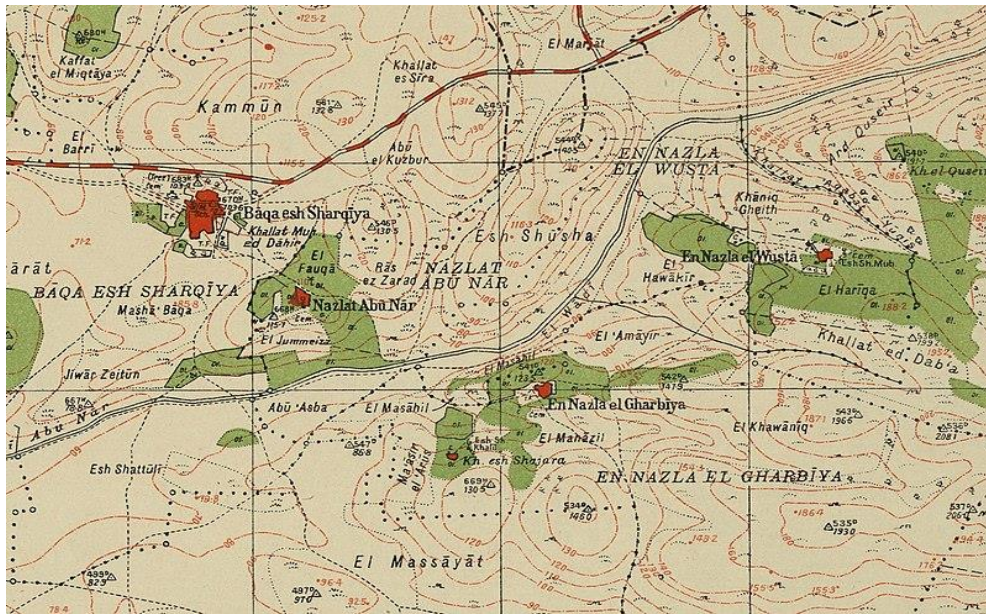
تقع باقة الشرقية شرق باقة الغربية وشمال شرق مدينة طولكرم، التي تبعد عنها 18 كم ترتفع 200م عن سطح البحر تحيطها أراضي قرى كل من: فراسين، نزلة أبو نار، نزلة عيسى، قفين، عتيل، زيتا، علار والنزلة الغربية.

مساحة بناء البلدة 560 دونماً ومساحة أراضيها 4000 دونم، وعدد سكانها 7000 نسمة تتبع قضاء طولكرم تحت إدارة السلطة الفلسطينية حسب معاهدة أوسلو عام 1993، وهي محافظة من محافظات الضفة الغربية.



تعتبر أراضي باقة الشرقية تليّة مفتوحة على الغرب فيها السهل والتلال ثم الأودية جاذبة للسكن منذ القدم وهي منطقة كنعانية لوجود مخلفات من الآثار والشواهد على نشاط الكنعانيين الزراعي والصناعي والتجاري، وبشكل خاص شهرتهم في البناء والعمران ولا زال أهلها الآن يحفظون ويمارسون نشاط أجدادهم فطبيعة المنطقة من خصب للأرض وجودة للمناخ حرارة أو مطر وفرت السكن وخيرات الحياة لأهلها.

يعتمد أهلها على الزراعة بالدرجة الأولى فيزرعون الحبوب والبقول، والأشجار المثمرة كالزيتون والكروم والحمضيات، يستخدمون المعدات الآلية في استغلال الأرض وقد أقاموا المصاطب على المنحدرات وبنوا البيوت البلاستيكية ووظفوها في زراع الخضروات والأزهار إلى جانب تربية الدواجن في مزارع خاصة تحوي منتجات ضخمة مزودة بالتهوية تبريد وتسخين إلى جانب الكهرباء والعلف والماء وأدوات التنظيف وآلات التفتيق وحاضنات البيوض إلى جانب تربية المواشي في مزارعها وقد باتت الزراعة وإنتاجها تحتل 42% من اليد العاملة في البلدة، يأتي بعدها الوظائف الخدمية وتشكل 20%، يليها العمل بالتجارة والصناعة والصحة والتعليم ويبقى 12% عاطلين عن العمل.



تمثل هذه الخريطة الكونتورية أراضي باقة الشرقية حيث تدل خطوط التسوية الحمراء على ارتفاعها عن سطح البحر نبدأ من الغرب هناك طريق رئيس يبدأ من الوسط الغربي نحو الشمال الشرقي وكل المناطق الخضراء هي أحراج وأشجار مثمرة زيتون وفواكه والمناطق الصفراء عبارة عن سهول وتل والنقاط الحمراء هي نزلات (نزلة أبو نار - نزلة الظهر - النزلة الغربية - النزلة الوسطى) والمهم في الأمر كله تشكل أراضي باقة الشرقية مراعي وأحراش وكروم إلى جانب المزروعات الأخرى من تين وعنب وزيتون.¹

¹: الموسوعة الفلسطينية - المجلد 2، هيئة الموسوعة الفلسطينية: رام الله، 1984، ص: 314.

قبل عام النكبة 1948 كانت باقة الشرقية تؤام مع باقة الغربية وكان النشاط التجاري كبير وكانت القريتان متلازمتان متكاملتان يكملان بعضهما في التجارة والبناء والعلم وغيرها من النشاطات المادية والاجتماعية، كما كانت القريتان بوابة التجارة لداخل طولكرم وجنين ونابلس وبعد النكبة انفصلت باقة الغربية عن باقة الشرقية وقل التواصل بينهما لكن بقيت الطرق مفتوحة والتواصل دائم والحركة تسعد أهالي القريتين ولم يدم هذا طويلاً، إذ قامت السلطات الإسرائيلية ببناء جدار الفصل وأغلق التواصل وتأثرت باقة الشرقية أكثر لتوقف السوق بسبب الإغلاق، إذ أن توقف العمالة حرم وهي المورد الأعظم للعمالة العربية.

إن المناطق الحرجية الموجودة في باقة الشرقية ماهي سوى القليل من غابات تكسوا مناطق شاسعة تقع حول البحر الأبيض المتوسط قبل آلاف السنين إذ دمر البشر أغلبها بالحرائق والتقطيع والصناعة ومد السكك الحديدية وقد تعرت التربة في المرتفعات بسبب الأمطار التي جرفت التربة وزاد التصحر، وقام المسؤولون بمشاريع التشجير حيث تزرع ملايين الشتلات كل عام كما حصل في فلسطين والأردن وسورية وصرنا نرى بذور السياحة ومصدر جديد وعلى هذا السياق ولأهمية أذكر بعض هذه النباتات وفوائدها الطبية والدوائية.

الطبيعية والثروة الحيوانية في بلدة باقة الشرقية

تعتبر أراضي البلدة نموذجاً أصيلاً للنباتات والحيوانات الطبيعية والمدجنة فيها وخصائصها ورغم أن الإنسان قد دمر قسماً كبيراً منها مع الزمن فإن المنطقة لا تزال تحتفظ بقسم كبير من هذه النباتات والحيوانات، وقلما تجد تلة من تلالها إلا وفرشت أرضها ببساط أخضر دائم الخضرة، ويمكن إيجاز أهم النباتات الموجودة في المنطقة مع خصائصها:

البلوط: ويشكل تجمعات شجيرية واضحة كما أن السريس والسنديان ينتشران بشكل واسع في جميع المرتفعات المحيطة بالبلدة تتبعها أشجار الخرنوب والسعتر والنتش والزوفا والميرمية والشومر كما يتواجد العليق والسرو في أماكن عدة.

الدقلة: وهي شجرة أئمة الخضرة توجد في مجاري الأودية والأماكن الرطبة إذ تعتبر شديدة السمية للإنسان والحيوان وتؤدي بذورها إلى الغثيان وانخفاض النبض وتدخل مستحضراته كمقوية للقلب.

العرعر: فصيلة سروية يستخدم في الطب وتجمع ثماره في الخريف عندما تصل مرحلة النضج فتجفف في الطل وتهوى وتدخل في تركيب الأنواع المدرة للبول وتفيد كمقشعة للبول وللتهابات التنفسية وفتاحة للشهية.

الطيون: نبات ذو ساق وأوراق عريضة لزجة لها رائحة غير محببة تستخدم في إزالة شوك ثمار الصبار عند قطعها ويستعمل كمادة مضادة للجراثيم وخواص مضادة للديدان الحلقية كما يدخل تركيبها في ترطيب الجلد الجاف عند استخدام البخار المنطلق من الطيون المغلي.

الزنزلخت: وهو شجر بري ويزرع في البيوت والشوارع أحياناً ويكثر في المزارع ويستعمل قشره كطارد للديدان، والمواد المستخرجة منه خافضة للحرارة.

الكينا: شجر معمر أوراقه مغزليه وجذوره قوية تمتد إلى مسافات طويلة تؤثر في أساسات الأبنية تكثر في السهل الساحلي وحول الطرق العامة أوراقه غنية بزيت الأوكالبتوس القاتل للجراثيم، فيدخل في تركيب عدد من المراهم المستعملة لتطهير مجاري التنفس والرشوحات ومرض الملاريا.

البابونج: نبات عشبي حول تجمع النورات في فترة الإزهار الكامل ثم تجفف بالظل ضمن تهوية جيدة وتستعمل ضد الالتهابات وهي مطهرة تدخل في معالجة الجهاز الهضمي والتهاب الأمعاء ثم القصبات والسعال والربو.

المليسه: نبات عشبي أيضاً وهو معمر يكثر في الأماكن الرطبة وعلى حواف الأودية يستعمل بشكل واسع في صناعة العطور التجميلية كما يستفاد منها في المرطبات، وتستعمل طبياً في حالات الضعف العام وحالات خفقان القلب كما أنها مضاد للتشنج والمغص المعوي وكذلك للصداع والروماتزم.

الشومر: وهو من الفصيلة النجمية (اليانسون) يستعمل منشط للأمعاء، وهو طارد للريح ومحسن لطعم كثير من الأدوية.

إن السريس والسنديان ويمكن إيجاز أهم النباتات الموجودة في بلدة باقة الشرقية البلوط ويشكل تجمعات شجيرية واضحة كما ينتشر بشكل واسع في جميع المرتفعات المحيطة بالبلدة تتبعها أشجار الخرنوب والسعتر والنتش والزوفا والميرمية والشومر.

الحنظل: من الفصيلة الفرعية، نبات عشبي معمر تبدي ثماره فعالية مسهلة شديدة الفعالية ومسحوق البذور وخلصتها تصلح كمواد مضادة للطفيليات.

السعتر: نبات معمر ينتشر بشكل واسع على المرتفعات المحيطة بالبلدة ويحوي على زيت طيار تستخدم أوراقه في الطعام مع الزيت كما أن الزيت المستخرج من أوراقه يستعمل في العصابات والروماتزم، وإن مغلي هذا النبات يستخدم في الغرغرة في التهاب اللثة ومخاطية الأنف والتهاب الرئة وقرحة المعدة والاثني عشرية وكطارد للديدان الخيطية ومضاد للسعال، عندما يكثر هذا النبات في المنطقة ويرافق

السعتر له رائحة عطرة، وتستعمل أوراقه كمادة قابضة ومضادة للالتهابات وبشكل خاص الحلق واللوزات والأغشية المخاطية، تؤخذ بشكل منقوع في التهاب الرئتين والأمعاء والكبد والصفراء ويستعمل المنقوع أيضاً لغسل الرأس في حالات تساقط الشعر .

الهندباء والخبيزة: وهي من النباتات الحولية تكثر في البراري وأطراف الأودية، وتقطف أوراقها وتطبخ على أشكال مختلفة وهي غذاء أساسي للناس في موسمها كما أن الهندباء تغلى ويدخل منقوعها في معالجة الرمل ومطهر للجراثيم وكذلك بالنسبة للسعتر .

الخلّة: وهو نبات عشبي حولي وساقه عارية مستقيمة أسطوانية الشكل يستعمل بشكل مرهم لمعالجة رضات الجلد إلى جانب الكلى والمجاري البولية لأنها توسع الأوردة كما يستخدم عيدانه بنشك الأسنان .

شجر الخرنوب: يكثر شجر الخروب في منطقة الهضاب الوسطى بفلسطين وبشكل خاص على سفوح المرتفعات وقد اعتاد الناس في القرية جمع كميات من ثمار الخروب ويحفظونها في أماكن خاصة حتى تجف ثم يكسرون القرون بالمدقات ويضعونها في أوعية واسعة ضخمة، تسمى (الدست) ويغمر الخليط بالماء يوماً كاملاً حتى يذوب السكر ويصبح الماء حلواً ثم يفرك الخليط ويطرح خارج الوعاء ويجفف الخليط، ويستخدم وقوداً للطواحين ويستفاد منه لغذاء الحيوانات بخلطه مع مواد أخرى، أما الماء في الدست يغلى حتى يصير لزجاً وتزداد حلاوته ويتحول لونه إلى الحمرة ثم إلى اللون الأسود ويدعى دبس الخروب أو (الرب).

يعتاد أهل القرى في فلسطين كلها تموين بيوتهم بخزن هذه المادة لتكون عوناً لهم في الطعام، وأحياناً يؤخذ السائل قبل غليه ويضاف إليه الثلج ويباع في الأسواق للمارة مثل شراب السوس، والملفت للنظر أن أوراق شجر الخروب الغضة تحوي على مواد قلوية بشكل قوي فقد كان العمال الذين يقطفون ورق التبغ يستخدمون هذا الورق في تنظيف أيديهم التي التصق بها غراء ورق التبغ ولا تزال بالصابون العادي إلا بورق الخروب.

شجر الزيتون: ينتشر الزيتون بشكل واسع في منطقة الناصرة والجليل ومناطق واسعة من ألوية فلسطين الوسطى نابلس ورام الله والقدس تجمع ثمار الزيتون في أيلول حتى أواخر تشرين الثاني وكانت تستخدم الطرق القديمة على ضرب أغصان الزيتون لينزل الثمار بواسطة العصي الطويلة ويؤخذ ثمر الزيتون ويجمع في أوعية خاصة وينقل إلى المعاصر، وهناك معاصر قديمة مؤلفة من حوض دائري وعلى حجر كبير دائري الدولاب يديره حيوان.

يعبأ الزيتون بعد هرسه في قفف مصنوعة من سيقان نبات القصب على شكل دواليب وتوضع القفف بعضها فوق بعض تحت لولب (مكبس) وزنه أكثر من طنين فيضغط اللولب على القفف فيسيل الزيت إلى مستودع في الأسفل (بئر) وتسمى (البدود)، ولا تختلف المعاصر الحديثة عن المعاصر القديمة إلا أنها تدار آلياً عن طريق المحركات التي تعمل على الوقود (السولار أو الكاز)، ثم تجمع في براميل، وقد جرت العادة عند الفلاحين بخزن الزيت كل عام بأواني فخارية كبيرة الحجم تدعى (الزعة) أو في جرار، وأغلبها يطلى بطبقة من البورسلان.

الصبار: يشكل الصبار حزاماً يلف بعض الحواكير (قطع من الأراضي)، ويعطي هذا النبات ثمرًا لذيذ الطعم حلو المذاق يلتقط بواسطة الأيدي واعتاد الناس التقاط الثمار بواسطة كلابات والأقماع المعدنية المثبتة على عصا طويلة، ويستطيع أي إنسان جمع ما يريد من ثمار الصبار دون حسيب أو رقيب وتعتبر أحزمة الصبار لحدود الكروم سياجاً تحمي مزروعاتهم من تطفل الحيوانات والرعي كما تعتبر عصارة ألواح الصبارة مادة قلوية لالتئام الجروح.

الحمضيات: ينتسب إلى هذا النوع من الشجر عدد كبير من النباتات (الليمون - البرتقال - اليوسفي - الماندلينا - والكريب فوت)، وتوجد زراعة أشجار الحمضيات في سفوح الهضاب والسهول ومنخفضاتها وتنتزين أراضي باقة الشرقية وبشكل خاص في فصل الربيع ببساط أخضر بنباتات متعددة ومتنوعة مثل النرجس وشقائق النعمان بينما تنطلق روائح الأزهار وتملأ الجو بروائح زكية عطرة تنعش القلوب وتتلج الصدور بينما تنقل الرياح هذه لروائح إلى مسافات بعيدة وعلى حواف الوديان تنمو أشجار الدفلى وهي تلبس أزهاراً ملوحة بالصفار رائحتها فواحة عطرة وردية، ملوح بالأبيض تصدر روائح عطرة تجذب النحل من أماكن بعيدة ليتغذى برحيقها الفواح.

الطيور والحيوانات البرية

إن طبيعة أراضي البلدة من أراضي ومناخ والتضاريس هيأت بيئة صالحة لوجود أنواع كثيرة من الطيور والحيوانات البرية وقد استطاع العلماء تصريف الكثير من هذه الحيوانات التي كانت تعد بالمئات، وقد انقرض أكثرها منها الآن ومع ذلك فإن لبعض منها لا يزال موجود بنسب متفاوتة منها على سبيل المثال.

طيور الحجل والشنار: ويعيش في المرتفعات بين الأحراش بين أشجار السريس والسنديان وكانت هذه الطيور تجذب الصيادين، وكان بعض الصيادين يأخذ فراخها ويدجنها في البيوت ضمن أقفاص ولحم هذه الطيور هو الأفضل بين الطيور.

الرقطي والقطا: يشبه الرقطي الحمام تماماً ويقال عنها ستيتية لها ريش مرقط حول عنقها جميل المنظر حقاً لها صوت عذب عندما تصدح باكراً، تبني أعشاشها فوق أشجار الزيتون، وكان الصبيان يأخذون فراخها من أعشاشها لذبحها أو بتربيتها في الأقفاص. أما القطا فهو طير موسمي مهاجر يكثر في المناطق السهلية الرطبة لحمه قاس ومع ذلك يلاحقه الصيادون من مكان إلى مكان بغية قنصه.

الزرزور: من الطيور الموسمية المهاجرة تأتي في أوائل الربيع بأعداد كبيرة وهناك من الطيور الشائعة مثل: البلابل، الدوري الكركس، الشحير، الحنيني، الآمي والسنونو... إلخ من الطيور الجارحة (الصقور والبوم والغراب).

الحيوانات البرية والزواحف: يوجد مثل هذه الحيوانات: الضباع، الثعالب، الواوي والذئب وغيرها، بأعداد قليلة بسبب ملاحقتها وإبادتها عبر الزمن وحرمانها الإنسان من الأمان وجار عليها، ومن الحيوانات الأرضية: الأفاعي، الخلد، الجربوع، القنفذ، الخلد، السحالي، السلاحف والحرادين.

ومن الحيوانات البرية والتي يؤكل لحمها الغزلان والأرانب تعيش في بيئة صالحة في منطقة البراري، ومنها الحيوانات المدجنة وكانت الكلاب ترافق الرعيان مع مواشيهم منذ حيوانات كانت الكلاب منذ القدم كما كان عدد قليل من الصيادين قد دمجوها وأصبحت الكلاب عوناً للرعيان وسلاحهم ضد الوحوش.

الماعز: إن بيئة المراعي في جو مناسب وطعام وافر متوفر بشكل كبير في أراضي برقة الشرقية، لكثرة المراعي في السهل والجبل والشجيرات المبعثرة في الهضاب ومنحدرات الجبال والماعز بحاجة ماسة إلى تسلق الشجيرات لأكل ما يطيّب له لذلك نرى أعداداً منها تسرح وتمرح في أراضي البلدة.

الأغنام: وتأتي الأغنام بعددها وقد اختصت بعض الأسر بتربيتها ويستفاد من حليب الأغنام والماعز في صناعة الأجبان والزبدة والسمن وتدر على أصحابها المال الوفير.

الحمير والبغال والخيول: لقد قل عدد هذه الحيوانات هذه الأيام واستبدلت بالسيارات والعربات التي تعمل بالوقود، وبقي منها عدد قليل يوظف في الركوب وحمل الأثقال في مناطق لا تصل إليها الآليات من مرتفعات وطرق عسيرة ويستخدم بعضها في حراثة الحواكير والأراضي العالية والمصاطب.

الأبقار: وتعتبر الأبقار من أغنى الثروات الحيوانية وكانت أعدادها كبيرة في الماضي وقد حاول البعض إقامة حظائر عصرية تجمع بين الأبقار الأهلية والأجنبية وتبقى ترعى في مزارعها الخاصة ويقدم لها العلف في حظائرها لتعطي وتوجد بحليبها بكميات لم يعرفها الفلاح من قبل وكلما تطورت العناية في التربية كلما ازداد الإنتاج جودة وقيمة وهذا متوفر لدى بعض الناس في البلدة.

النحل: ساعدت الظروف المحلية الطبيعية منها والبشرية من جودة مناخ وكثرة أشجار كلها ساعدت على وجود النحل بكثرة بقاع فلسطين منذ قديم الزمان وقد اشتهرت بلادنا فلسطين بتربية النحل زمن الكنعانيين إذ كتب عنها طبيب فرعون المصري سنوحي عندما هرب من الفرعون الجديد الى فلسطين وسكنها وتزوج كنعانية ووصف خيراتها وكرم سكانها الكنعان ونشاطهم بالزراعة وبشكل خاص زراعتهم للكرمة فيقول "إنهم يشربون النبيذ أكثر من الماء" وذلك قبل ألف وخمسمائة عام قبل الميلاد، أي قبل مجيء موسى عليه السلام، كبيرة حجمها متوسط ولحمها طيب يلاحقها الصيادون ويجمعون منها الكثير وتباع للمطاعم.

السمن والفري: وهو طير مقيم في كثير من الأحيان ويعيش بين جذوع الشجر الملتف ويتم تكاثره باستمرار رغم مطاردة الصيادين عن طريق الصيد بالبارود والفخاخ والنقيفات وهذا لطير متوسط الحجم لحمه لذيذ الطعم.

الزرعي: ويشبه طير السمن لكنه يعيش بين الزرع والأراضي المحروثة وأغلب صيده يتم عن طريق الفخاخ، والهدد طير موسمي يكثر في الربيع والخريف جميل المنظر له قنبرة على رأسه تتوجه صيده غير محبب لقلة وجوده أولاً ثم للأثر ديني.

المراجع

- (1): الموسوعة الحرة وكيبديا
- (2): مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين - في الديار النابلسية الجزء 2، دار الهدى: بيروت، 1965، ص: 314.
- (3): الموسوعة الفلسطينية عام - المجلد 2، هيئة الموسوعة الفلسطينية: رام الله، 1984، ص: 647.
- (4): النباتات الطبيعية الطبية في بلاد الشام أحمد عويدات.
- (5): الحيوانات الطبيعية في بلاد الشام وصفي زكريا.

الفصل الثاني

لمحة تاريخية

إن طبيعة أراضي باقة الشرقية وتنوعها من صخور وتربة ونباتات واحراش ومراعي ومناخ، ومياه ساعد على جذب الناس للسكن منذ أقدم العصور وقد استقبلت المنطقة أجدادنا الكنعانيين منذ خمسة آلاف عام ويدل على ذلك علم الحفريات وآثار ما خلفه السابقون فالمدن الكنعانية شاهدة على نشاطهم في البناء والزراعة والفنون وحفر الصخور والخزانات وصناعة الفخار والنحاس ثم الحديد وصناعة الألبسة الكتانية والصوفية والموسيقى وكانت حضارتهم متقدمة على كل الشعوب.

لقد دأبت الدعاية الصهيونية على أنهم مؤسسي الحضارات ودعاة التقدم والإنسانية وأخيراً الحرية والديموقراطية فهل كان لليهود حضارة؟

دعونا نستمع إلى أقوال علماء الغرب من غير العرب: يقول غوستاف لوبون "ولما دخل اليهود إلى فلسطين وجدوا مدنها وقراها ومزارعها وكان معظمها بلدات صغيرة ومبعثرة، لا تجمعها وحدة وقد وجدوا بيوتاً مملوءة بالخيرات فالمدن كانت عظيمة لم يسوروها وأباراً محفورة وأشجاراً مغروسة لم يغرسوها وتعلموا من الكنعانيين العرب الزراعة واقتبسوا منهم مئات التقاليد والأعراف منها على سبيل المثال: صناعة الفخار والخبز بالتنور وصنع الخمر وتربية النحل وصنع الثياب إذ كانت ملابسهم تسير حسب الطراز الكنعاني وكان ملوكهم يلبسون قميصاً طويلاً من نوع خاص كما كان قضاتهم يلبسون نفس القميص".

ويتابع غوستاف لوبون: ومن المعروف اليوم أن اليهود كانوا أقل تمدناً ورقياً من الكنعانيين والذين أخذوا عنهم الكثير من حضاراتهم وثقافتهم وآدابهم وكتاباتهم وطقوسهم الدينية"، ويتابع غوستاف لوبون ويقول: "لم يكن لليهود من فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء حضاري واليهود لم يساهموا بأية مساعدة في إغناء البشرية ولم يتجاوزوا قط مرحلة الأمم المتوحشة والتي ليس لها تاريخ، ولما سارت لليهود مدناً في نهاية الأمر بيد أنهم كانوا غاية في العجز من أن يقيموا بأنفسهم مدنهم ومعابدهم وقصورهم وقد اضطروا في إبان حكم سليمان إلى الاستعانة بالخارج ف جلبوا البنائين والفنيين والعمال ولم يكن بين هؤلاء إسرائيلي واحد".

ويقول سيغموند فرويد عالم النفس اليهودي "وفي الأسر البابلي بقي اليهود سبعين سنة وتعرف هذه الحقبة بالسبي البابلي إذ تغيرت أثنائها أحوالهم ونشأ فيهم جيل جديد يختلف عن الأجيال السابقة

فتغير لسانهم وتنوعت آدابهم وتأثرهم وتخلقهم بالبابلية، لقد شعر اليهود بالأسر وهم في بابل بأنهم نكرات بين شعوب لها حضارات أصيلة في بلاد ما بين النهرين فتولد عندهم عقدة النقص وعندما بدأ الحاخامات ورجال الدين كتابة التوراة نسبوا لأنفسهم كل عظيم".

ويقول المؤرخ فيليب حتى: "ظل الناس حتى وقت قريب يجهلون حقيقة ما قدمه الكنعانيون إلى العبرية من لغة وفنون وعمارة وزراعة وأدب وصناعة، وكانت طقوس الهيكل تستدعي العزف على آلات موسيقية وكان الموسيقيون الأول من الهيكل كنعانيين في أشخاصهم وتدريبهم وعندما بدأ داود بالموسيقى العبرانية المقدسة ورقاها سليمان من بعده لم يكن بين النماذج الغنائية ما يمكن إتباعه سوى النموذج الكنعاني" ويتابع حتى أن الختان أخذه عن الكنعانيين الذين مارسوه في تقديم الأضاحي لإلههم فينوس إله الخصب وكان الرجل يقطع حلمة بشره ليقدمها إلى المذبح وكذلك الفتاة العذراء كانت تقض بكارتها لتقدم الدم للمذبح أيضاً فأخذوا هذه العادات ومارسوها وباتت شعاراً دينياً عندهم".

ويقول العالم بروسند: "لا يخفى على أحد أن المدن الكنعانية كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ منتصف ألف وخمسمائة ستة قبل الميلاد، كانت بيوتهم متقنة حوت العديد من أسباب الراحة والرفاهية إلى جانب الصناعة والتجارة ومعرفة الكتابة ومعارف هامة حضارة اقتبسها أولئك العبرانيون من السكان الكنعانيين، لأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا بمعزل عنهم وقد أحدث الاختلاط تغييرات كثيرة بين الطرفين تجلت في حياة العبرانيين، فغادر بعضهم سكنى الخيام وشرعوا ببناء مساكنهم كبيوت الكنعانيين وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من الصوف الزاهي وبعد زمن معين لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين الذين ساكنوهم" كما هو حال المهاجرين العرب إلى أمريكا إذ ينخرطون في مجتمعهم يكتسبون عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم.

نحن لا ننكر ما وصل إليه اليهود في العالم وما حدث لهم من ظلم الشعوب لهم عبر التاريخ إذ تعرضوا للقهر والإهانة وبشكل خاص في القرون الوسطى وهم يعترفون وكتابهم عبروا بكتبهم بأن السلم والرخاء الذي تمتعوا به في ظل المسلمين لم يجده في أي شعب ساكنوه إذ كانوا نكرات بين الشعوب الأوروبية بينما احتضنهم العرب في الأندلس وتعاملوا معهم بإنسانية وإخاء حتى في العهد العثماني فقد احتلوا مراكز رفيعة في الدولة.

أما الآن فقد قلبت الصهيونية هذا النموذج من المحبة والإخاء إلى عداوة همجية إذ تحالفت مع الاستعمار الأوروبي والأمريكي وباتت الصهيونية أداة هدم وتخريب ودمار لنهضة العرب بعد تخلصها من الحكم العثماني ونحن نرى كيف جعل الاستعمار البريطاني أولاً والأمريكي ثانياً من الغراب نسرا يهدد الأمة.

وفي العهد اليوناني: قام القائد الإسكندر المقدوني بحروبه احتلال بلاد الشام وقضى على إمبراطورية الفرس ثم دخل مصر وبنى مدينة الإسكندرية وبعد موته تقاسم الحكم بعده بطليموس في مصر وسلوقس في بلاد الشام وقد تركوا حضارة جديدة قبل حكم الرومان تدعى بالحضارة الهلنستية.

- جاء الرومان وقسموا البلاد إدارياً الى ثلاثة أقسام:

تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام إدارياً



التقسيمات الإدارية في العهد الإسلامي

وفي العهد الإسلامي كانت منطقة البيرة ورام الله ضمن جند الأردن وفي عام 1099م وقعت تحت حكم الفرنجة واصبحت رام الله تحت حكم الصليبيين مستعمرة زراعية وسموها رماليا حيث يوجد بقايا برج صليبي في البلدة القديمة وقد حررها صلاح الدين الأيوبي عام 1116م .

الفترة العثمانية: لا حاجة لبحث بلدة في ظل الحكم العربي الإسلامي لأنها حكمت كما حكمت البلاد التي أصبحت تحت الإمبراطورية الإسلامية.

إذ كانت الفترة (1516-1918) وهو انتهاء العهد المملوكي حيث كانت المناطق الواقعة الى الشمال والشرق في بلاد اشام والعراق باتجاه الأناضول وشرفه منذ مطلع القرن السادس عشر يسوده صراع على القوة بين قوى ثلاثة (الدولة العثمانية المتمركزة في إستانبول والتي امتد نفوذها على البلقان والأناضول خلال قرنين من الحروب والتوسع والدولة الصفوية الناشئة والقائمة في تبريز والتي حاولت التوسع بدورها وتستقطب القبائل التركمانية التي تعد من عماد قوتها ثم السلطة المملوكية الهرمة والتي كانت تحكم من القاهرة وتعاني الكثير من الضعف.

وكانت المملكة الفاصلة الاولى بين هذه القوى المتصارعة بزعامة السلطان سليم الأول والدولة

الصفوية بزعامة الشاه إسماعيل في (الديران) قرب تبريز في 2 رجب 920هـ الموافق 1514م وانتصر



العثمانيون باستخدامهم للأسلحة النارية وبعد عامين انتصر العثمانيون في معركة مرج دابق في 23 آب 1517 الموافق 22 رجب 922 هـ كانت هذه المعركة نهاية سلطة المملوكية.

إن ما يهمنا هو دراسة المنطقة في العهد العثماني لما تركه هذا الحكم خلال أربعة قرون من الزمن سادها التخلف والفقر وقضت على ما نصته الشريعة من أحكام وكثرت المنازعات والخلافات بين العشائر والعائلات في حفظ الطرق والمدن ثم جمع الضرائب للباب العالي وقد تطور هذا السلوك في الحكم إلى فساد الأخلاق، وكثرة التمرد وانتشرت الفوضى وعانى الفلاح من تسلط العشائر على القرى الزراعية من نهب الخيرات من انتاج زراعي وحيواني حتى أن بعض أبناء الأسرة تمردوا على أبيهم وأعانوا أعداءه عليه مثلما حصل مع الظاهر العمر.⁽⁵⁾

وقد اهتمت السلطات بهذا الأمر وأعطته أهمية كبرى للسيطرة على حكم البلاد أولاً ثم وضع الضرائب التي تجمعها عن طريق الملتزمين من زعماء القرى والمدن التي أطلقت الدولة أيديهم في جمع الضرائب وحماية الطرق واستتباب الأمن، وكان لهذه الإحصاءات أثر في معرفة النمو السكاني منذ القرن السادس عشر الميلادي كما صرنا نعرف عدد المسلمين-المسيحيين-اليهود في البلاد وتوزعهم. وصف الرحالة الشيخ مصطفى البكري إلى بلاد قد كثر فيها التمرد وانتشرت الفوضى وعانى الفلاح من تسلط العشائر على القرى الزراعية من نهب الخيرات من انتاج زراعي وحيواني حتى أن بعض أبناء الأسرة تمردوا على أبيهم وأعانوا أعداءه عليه.⁽⁶⁾

اهتمت الدولة العثمانية في أول عهدها بتعداد السكان واعتمدت بتقديرات التعداد إحصاء البيوت في القرى والمدن وضرب عدد البيوت 5 x أفراد باعتبار متوسط الأسرة في البيت خمسة أشخاص. وبعد صدور فرمان الإصلاح عام 1858 فقد حاولت الدولة حفظ الأمن وفتح المدارس في بعض القرى الكبيرة كما أن السلطان عبد الحميد الثاني الذي استلم الخلافة عام 1876، وإصداره فرمان الذي يحرم فيه بيع أي شبر من أراضي فلسطين ولكن الصهيونية المتحالفة مع الاستعمار استطاعت بطرق ملتوية استغلال القنصليات الأجنبية شراء أراضي في فلسطين بلغ عددها 30 ألف دونم.

(1) **إبتاح تكفا:** ومعناها (باب الرجاء) أقامها الصهاينة عام 1881م على أراضي ملبس قرب يافا وعلى قسم من الأراضي البالغة عشرة آلاف دونم اشتراها الصهاينة من مالك اللبناي (تيان).

(2) **ريشون ليتسيون:** أقامها الصهاينة عام 1881 على أراضي (عيون قارة) العربية، وتبلغ مساحتها 2340 دونم حجزتها الحكومة التركية وعرضتها للبيع بالمزاد العلني بسبب عجز أهلها أصحابها العرب عن سداد الضرائب للحكومة التركية فحاول مهاجر صهيوني من الروس (ليغونتين) شراءها

لكن الحاكم العسكري التركي رفض استناداً إلى قرار السلطان بيع الأراضي في فلسطين لليهود فقام القنصل البريطاني في يافا وهو الحاخام "أمزيلغ" بشراء تلك الأرض من الحكومة بصفته قنصلاً بريطانياً بسعر 15 فرنكاً للدونم الواحد وقام بعد ذلك بتحويلها إلى الصهاينة وأقاموا عليها مستعمرتهم "ريشون ليتسيون".

(3) مستوطنة "روشبيننا": أقامها الصهاينة على قطعة أرض يملكها يهوديان من يهود صفد فريدمان وفشتاين من ضمن أراضي قرية الجاعونه سبق أن ابتاعها من مالكة اللبناني ثم باعها إلى روتشيلد عام 1882 حيث أقام عليها 50 عائلة من مهاجري رومانيا.

(4) زخرون يعقوب: (زمارين) أقيمت عام 1882 على قطعة أرض مساحتها 5000 دونم اشتروها من أحد المستثمرين الفرنسيين وتقع أراضيها على جبل الكرمل الجنوبي لحيفا وكان الفرنسي يزرعها بالعنب للتصدير إلى معامل الخمرة وتم بيعها عن طريق القنصل الألماني والنمساوي يدعى إميل فرانك، وكان إلى جانب كونه قنصلاً كان وكيلاً للسفن البريطانية التجارية في الموانئ العربية. وزخرون يعقوب هذه سميت على اسم جيمس يعقوب روتشيلد ترتفع عن سطح البحر زهاء 70 متراً.

(5) مستوطنة "نس تينة": أقامها الصهاينة عام 1883 على مساحة 2000 دونم من سهل الحولة اشتروها من قنصل فرنسا ووكيل القنصلية في صفد ويدعى يعقوب عبو وسبق له أن ابتاعها من مالكة اللبناني (تيان) وأقام فيها مهاجرين من بولونيا.

(6) مستعمرة المظلة: أقامها الصهاينة عام 1883 على أراضي قرية عقرون قرب يافا واشتروا أراضيها من مالكة اللبناني (تيان).

(7) مستعمرة عكرون: (مركز بيت بانيه) أقامها الصهاينة عام 1883 على أراضي مقرون قرب يافا واشتروها من مالكة اللبناني (تيان).

(8) مستوطنة غدير: أقاموها عام 1884 على أراضي قرية قطرة قضاء الرملة اشتراها القنصل الفرنسي في يافا.

(9) مستوطنة مائير طوقيا: أقامها الصهاينة عام 1887 قرب يافا واشتروا أرضها من مالكة اللبناني (تيان)

(10) مستوطنة شلومو: أقاموها عام 1889 على نفس الأرض التي أقاموا عليها زخرون يعقوب والتي اشتراها المالك الفرنسي جنوب حيفا على الكرمل.

(11) مستوطنة الخضيرة: أقاموها عام 1890 على أراضي الخضيرة العربية على ساحل جنوب حيفا.

(12) مستوطنة شافية: أقاموها عام 1889 على أراضي زخرون يعقوب.

- 13) مستوطنة **دحقوت**: أقاموها عام 1890 اشتروها من مالكة اللبناني (تيان) جنوب حيفا.
- 14) مستعمرة **مشممار هياردن**: اشتروها من ملاكها اللبنانيين رب الحدود السورية الشمالية مع فلسطين عند جسرينات يعقوب.
- 15) مستوطنة **سوتا تحتين**: أقيمت عام 1894 قرب مدينة القدس على أرض يملكها اليهودي البريطاني (مونتغور).
- 16) مستعمرة **غان شيمو ئيل**: أقاموها عام 1894 وكان يقيم في هذه المستعمرات الأربعين حوالي 12 ألف مستوطن، حتى عام 1918 وهو تاريخ الانتداب البريطاني للصهيونية أكثر مما تتوقع في سلب الأراضي وفتح أبواب الهجرة على مصراعيها وسهلت للصهيونية كل مقومات وجودها الاقتصادية والمؤسساتية والمنظمات والعصابات العسكرية حتى باتت دولة إسرائيل داخل الكيان البريطاني وقد عملت حكومة الانتداب كل ما وسعها لتقدم ما أنجزته هذه الحكومة الظالمة لشعب فلسطين من قهر وقتل وعقاب.
- لقد قدمت الحكومة البريطانية كل ما بنته من موانئ ومطارات ومصافي بترول ومعسكرات كانت تأوي 80 ألف جندي وطرق معبدة وخطوط حديدية لم توجد مثلها بالشرق الأوسط وسلمتها على طبق من ذهب مطلي بدماء أبناء فلسطين دون وخز ضمير أو مسحة إنسانية. لقد أوفت بريطانية المجرمة بوعدها المشؤوم وهي التي أقامت دولة إسرائيل بكل مقوماتها ليس حباً باليهود بل كرهاً بالعرب.

المراجع:

- (1): العرب واليهود في التاريخ أحمد سوية
- (2): تاريخ سورية القديم ج1 فيليب حتي
- (3): العرب واليهود في التاريخ د: أحمد سوسة العارقي.
- (4): تاريخ الحضارات د: جورج حداد.
- (5): الموسوعة الفلسطينية خاص ج2 د. عبد الكريم رافق

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية

الزراعة

أراضي برقة الشرقية من المناطق الخصبة لجودة التربة ووفرة مياه الأمطار كتيرة الينابيع وتوفر المناخ المساعد ووجود الندى الذي يساعد المزارعين البعلية، وقد استفاد أجدادنا من هذه العوامل كلها فزرعوا الأرض بأدواتهم البسيطة من محراث خشبي له سكة معدنية من البرونز ثم الحديد، كما استخدموا المنجل لحصاد القمح والشعير، وقد استغل الخيول والأبقار والحمير في الحراثة ونقل المواد والغلات ثم المواصلات وكانت القوة العضلية هي السائدة والويل لمن يفقدها لذلك كانت الأسرة كلها متعاونة في تحقيق مثل هذه النشاطات فالذكور منهم يتولون المهام الصعبة من حراثة الأرض وإعدادها للزراعة فيزرع الحب والأشغال، ويعتني بها من تعشيب وريها وتسميدها وجمعها وخزنها إلى جانب العناية بالأغنام والماشية من رعي وحليب وصناعة ألبان وقص الصوف وبيعه إلى جانب التسوق وجلب الطعام لحيواناته وتأمين المسكن بكل وظائفه إيواء أسرته وحيواناته وكل ما يلزم من خدمة.



المحراث الخشبي القديم



هذا ما كانت عليه الزراعة قديماً ومع أن الدولة العثمانية كانت تعتمد على الفلاحة والفلاحين لجمع الأموال للبيت العالي في إستنبول فقد كانت حياة الفلاح مشوشة وغير مستقرة إذ كان اللصوص وقطاع الطرق يغزون القرى وينهبون ما جناه الفلاح في سنته، ويبقى هذا المسكين يتلوى من غداء.

ومع أن السلطة العثمانية اعتمدت على رؤساء العشائر في نشر الأمن والطمأنينة وذلك حسب قوة شيخ القبيلة أو العشيرة وكبر عدد أفرادها وسمعته ومنحته السلطة في تحقيق ذلك وكانت هذه السياسة تتذبذب وغير مستقرة فترى زعيم العشيرة يتمرد على الدولة ليستقل بما لديه من النعم ويعود الفساد وتعم الفوضى وهذا كله يشكل خطراً على حياة الفلاح، إن 75% من سكان فلسطين كانوا فلاحين آنذاك وهذا ما أدى إلى انهيار الدولة العثمانية.

ولما جاء الانتداب البريطاني عام 1918 تنفس أهل البلاد الصعداء ونشط الفلاح وازدهرت الزراعة وتنوع إنتاجها وزادت الغلات من حبوب وبقول وبشكل خاص ثمار الحمضيات الى جانب الفواكه المتنوعة ولم يمض سوى خمس سنوات حتى وجد الفلاح نفسه يمر في ضائقة مالية قتالة، إذ عرضت بريطانيا الطحين بالأسواق بأسعار تضرب بها ما يكتنزه الفلاح كما منعت تصديره، ولم يعد لصاحب الأرض دخل يعتاش منه وقبّع أهل فلسطين تحت الفقر.

وهنا أضع لكم ما قدمه حاكم حيفا هذا ما عبر عنه حاكم حيفا جورج ستيوارت في رسالته تقريراً عن انكماش الظروف الاقتصادية وتدهورها مما له من أثر في موجة الاستياء التي تعم سكان العرب في فلسطين إلى حد تجاوب معه القرويين مع حملات التحريضية المضادة للحكومة يتابع هذا الحاكم في رسالته يقول: "قالأعمال في عكا وشفاعمرو متوقفة في حيفا تكاد تكمن جميع أنواع العمل التي تعد بالربح على العرب متدهورة، كما أنه من الواضح أن الحواجز الجمركية في سرية أخذت تقتل الترانزيت فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع المفرق يتوقف عن العمل، بل أن الحمالين غيرهم يمارسون أعمالاً مؤقتة، قد أخذ بعضهم يتأثر بسبب الأفضلية التي منحت للمؤسسات اليهودية أصحاب العمل اليهود يتعاملون إلا للمهاجرين من اليهود الجدد من العمال، إن سكان المدن يعانون من ارتفاع تكاليف المعيشة والدخل شبه معدوم.⁽²⁾

أما الطبقات الاجتماعية الأعلى نسبياً كالتجار (الأفندية) فانهم كادوا يصلون لحالة اليأس، إذ يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بمداخلهم أو بواسطة أية أعمال أخرى إن بعضهم يواجه الإفلاس، ليست حالة صاحب الأرض الكبير خيراً من ذلك بكثير فهو مثقل بالدين ليس في وسعة الحصول على مزيد من القرض فأسعار الحبوب منخفضة، كما أن الاسواق الخارجية مغلقة عملياً في وجهه أنه ليجد

من الصعوبة عليه أن يبيع ما يضطر إلى بيعه من الأراضي بسعر معقول، يرى ساكن المدينة ما يعانيه لن يخفف عنه في ظل حالات العجز والبؤس، إنما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية ما يترتب عنها من الهجرة اليهودية. أما وفي العقدين الأخيرين من حكم الانتداب لفلسطين تغيرت الأحوال لصالح الصهاينة لأسباب أوجزها: (3)

- (1) محاربة الفلاح في أرضه إذ سنت قوانين لتحويلها الى اليهود منها أن كل أرض لم تزرع خلال سنتين تصادر ثم تحول الى اليهود أو أن صاحب الأرض لم يفلحوا أرضهم خلال سنتين تصادر لصالح المستوطنين اليهود وكذلك لأراضي لم تدفع الضرائب والرسوم.
- (2) إغراق الأسواق بالحبوب المستوردة بأسعار دون الأسعار السابقة دون حماية المنتج الفلسطيني مما أفقر الفلاح أو مالك الأرض العربي.
- (3) جلب العمال الفلسطينيين العرب من مزارعهم ليعملوا في بناء الطرق والموانئ والمعسكرات للجيش البريطاني الذي قدر عدده 80 ألف جندي في كل البلاد وعرضها، وقد باتت فلسطين في ذلك الوقت مثلها كممثل دول الخليج هذه الأيام بحاجة الى الأيدي العاملة والوظائف المتنوعة.
- (4) إقامة المؤسسات والدوائر الحكومية من مراكز للبوليس ودور الحكم وسمحت للصهيونية إقامة دوائرهم الخاصة وجمعياتهم ومؤسساتهم حتى باتوا يعيشون في دولة في دولة ضمن دولة.
- (5) كل هذا كان سلب الأراضي من أصحابها وإحلال المهاجرين الصهاينة فيها دون منح الفلسطينيين أي حق من الحقوق بل كان هدفهم إفقار الشعب وتدميره ونحن نرى الآن وقد مر علينا هذه الأيام مئة عام منذ وعد بلفور في 1917/11/2 حتى اليوم 2017/10/2 ونحن نعاني نظام تسلطي إسرائيلي من احتلاله للأرض وقتلهم لكل معارض ونهب أموال أهل البلاد وامتلاء السجون وتهجير الناس بالجملة واستقبال الأعراب وتوزيع الغنائم بدون حق أو وخز ضمير أمام مسمع وحضور الأمم المتحدة التي وظفها لهم الدول الاستعمارية والدولة الإمبريالية الولايات المتحدة الأمريكية وما خططت له الانتداب لتنفيذ الوعد البريطاني وما مارسه من قتل المعارضين، وجاءت الإمبريالية الأمريكية بخططها الشيطانية في إكمال المشوار في تدمير العرب ودينهم الإسلامي في محاربتهم بعضهم لبعض وتوظيف أسلحتهم ضد شعوبهم وهدم بيوتهم بأيديهم ليس حباً باليهود بل كرها وحسدا للعرب والإسلام.

لقد قام المجلس المحلي للقرية بتجديد بنشاطات كثيرة من ترميم وبناء ووضع خطط إسكانية وصناعية جديدة بالإضافة الى تسارع ترميم المدارس والمؤسسات وتم تعويض ما سلبه المحتل من أراضي أصحابها

يعد عام 1976 وذلك باستخدام المخابر والأسمدة في مضاعفة الإنتاج واتباع البناء الشاقولي لتوفير الأرض الزراعية. رغم تحويل أراضي الى المستعمرات المجاورة وفتح مشاريع للطرق والجسور رغبة تسهيل المواصلات للمستعمرات ونهب للأراضي العربية المتبقية. فإن أهالي البلدة كسبوا أراضي جديدة في المرتفعات عن طريق بناء المصاطب وزرعها بالأشجار المثمرة تفاح وأجاص وعنب وزيتون كما أقاموا فيها بيوت بلاستيكية لزراعة الأزهار والخضروات ومزارع الدواجن وتربية النحل وغيرها من المنتجات المرغوب فيها وتملك البلدة العديد من المواشي من أغنام وأبقار تكاد تكون كافية للاستهلاك المحلي وبعض الألبان يصدر للأسواق.

لقد تطورت الزراعة عن ذي قبل فأصبح الدونم يعطي إنتاج ضعف ما كان في الماضي بعد أن باتت الزراعة تعتمد على الخبرة والمخابر والأسمدة والري بالتنقيط وأصبحت المواد الزراعية تدخل في عصر المكننة وكذلك للدواجن والألبان حتى الخضار باتت تعبأها وحفظها صناعة نموذجية. وكل هذا النشاط متوفر في بلدة باقة. وتقسم أراضي شعب الى قسمين أولاً أراضي السهل تزرع فيها الحبوب على أنواعها والبقول من ذرة بيضاء وذرة صفراء وعدس وحمص ' وفول وسمسم وغيرها مثل الكرسة وهو طعام الجمال المفضل.

الصناعة

الصناعة في البلدة فقد تحولت من صناعات بسيطة⁽³⁾، مثل الحدادة في صناعة المحاريث والسكاكين والخناجر والسيوف الى آلات تعمل بالوقود والكهرباء والطاقة الشمسية الى مطاحن لطحن الحبوب وآلات للخياطة وأخرى لحياكة الصوف والكتان والخام والحريز وصناعة الألبسة بأنواعها وتصليح المعدات بأنواعها من سيارات وغسالات وأفران ومعدات كهربائية والإلكترونيات وأجهزة اتصالات وأدوات طبخ وفخاريات وزجاجيات وغيرها كثير، وقد استفاد أهل شعب من الأحرش المحيطة ببلدة شعب ببناء البيوت فكثرت المناجر وصنع الموبيليا وغيرها من الأدوات ومقالع الحجر وصناعة الكلس والفحم.

المراجع

- (1): صور أدوات زراعية قديمة
- (2): -- -- -- حديثة
- (3): مقالة جورج ستيوارت لوزير المستعمرات ونستون تشيرشيل
- (4): الموسوعة الحرة ويكيبيديا

الفصل الرابع

التعليم وأعلام باقة الشرقية

لقد مرَّ على بلدة باقة الشرقية حين من الدهر طغى الجهل والأمية على أهلها زمن الحكم العثماني والذي طال أربعة قرون، إذ لم يكن في القرية أنثى تعرف القراءة والكتابة وقد ذكر الكتاب السنوي لوزارة المعارف العثمانية عام 1319 هجرية الموافق عام 1901م ما يلي:

"وفي قرى الجليل الوارد اسمها فيها مدرسة ابتدائية للذكور فقط وهي: مجد الكروم - جديدة الدامون - الزيب - البصة - الغابية - يركا - كويكات - عمقا - شعب - سخنين - عرابة البطوف - نحف - دير حنا - طمرة - سحماتا".

وقد اقتصر التعليم على الذكور في المرحلة الابتدائية بينما كان البعض من الأهلي يرسلون أبناءهم لإكمال دراساتهم في المدرسة الأحمدية بجامع الجزار بعكا التي اقتصر التعليم فيها على مادتي اللغة العربية والدين إلى بعض المعلومات في الحساب العمليات الأربع، وكان الموسورون من الناس كالتجار وملأ الأراضى يرسلون أولادهم إلى المدن مثل: الرشيديّة في القدس، أو مدرسة عنبر بدمشق، أو إلى القاهرة في الأزهر وكان البعض يرسلون أبناءهم إلى إسطنبول، والجامعة الأمريكية في بيروت. وتم بعد ذلك افتتاح المدارس في العقد الثاني والثالث من القرن العشرين واتسعت المدارس وتعددت وشملت البنات والبنين وقد توفر فيها من المدارس والمؤسسات التعليمية.

لقد تم القضاء على الأمية في البلدة وبات أصحابها يتفاعلون مع بيئاتهم المحلية منه القريبة والبعيدة إذ تجد العيادات الطبية بكل اختصاصاتها يتبعها المستوصف الطبي العائد للمجلس المحلي ومركزاً للأمن والمؤسسات الخدمية من كهرباء ومياه ونظافة.

كما يوجد مكاتب المحامين والمهندسين والجمعيات الخيرية والنوادي الرياضية إلى جانب كراجات السفر ومكاتب التأمين وفرع البنوك، وتم إنشاء المدارس في بلدة باقة في مراحلها الثلاث واتسعت الأبنية لتتسع الصفوف لأكثر من 6,460 طالباً وطالبة منها:

- 1- مدرسة باقة الشرقية الأساسية للبنين.
- 2- مدرسة باقة الشرقية الأساسية للبنات.
- 3- مدرسة باقة الشرقية الإعدادية للبنين.
- 4- مدرسة باقة الشرقية الإعدادية للبنات.

5- مدرسة باقة الشرقية الثانوية للبنين.

6- مدرسة باقة الشرقية الثانوية للبنات.

وقد أسست جمعية الشباب المسلمين روضة أطفال وروضة أخرى أسستها جمعية خيرية نسوية في بلدة باقة الشرقية كما يوجد نادي رياضي تابع للشباب المسلمين في بلدة باقة الشرقية مركز طبي لمعالجة الإصابات وإسعاف المرضى.

الفصل الخامس

(السكن الديوان التقويم الشعبي الطب الشعبي الأمثال التفاؤل والتشاؤم)

العادات والتقاليد

تتشابه العادات والتقاليد في كل المناطق في فلسطين وتختلف أحياناً في اللهجة بين شمالي حيفا وجنوبها وتبقى الأمثلة مشاع في جميع البقاع وأسماء الأدوات وبشكل خاص أسماء أدوات الأكل والطبخ وأسماء طبخات الطعام.

التقويم الشعبي

إن الأقوال والأمثال الشعبية تقسم إلى قسمين تبعاً لفصلي الصيف والشتاء، فالشتاء هو بداية السنة في عرف الفلاحين ويبدأ في 14/أيلول وهو عيد الصليب لأنهم ينهون فيه الحصاد والقطاف ويبدأ الموسم الجديد، وتهب رياح شرقية يسميها الفلاحون شراقي الصليب أو شراقي الخريف. وهذه الرياح هي العلامة الفاصلة بين الصيف والشتاء وتأتي في العادة في أواخر شهر أيلول لذلك يطلق المثل (أيلول طرفه مبلول)، وإذا هطلت الأمطار يقولون (الموسم بدري) وإذا بدأت المطرة الشراكية قبل طلوع الشمس فسرعان ما تتلاشى وإذا ما بدأت بعد طلوع الشمس فتأثيرها يستمر ثلاثة أيام.

ويشاءم الناس بالرياح الشرقية لأنها تجفف الجلد والوجه ويقولون في سنة الشراقي (بتدور وما بتلاقي) أي لا خير فيها ويبدأ المطر في هذا الموسم مبكراً ويسمون لها (شتوة المساطيح) لأنها تنزل على سطوح العشب الذي يبلونه بالماء والزبيب وينشرونه حتى يجف ويصبح زبيب. ولكل من الثلاثة الأولى الممطرة أسماء كما يقولون.⁽¹⁾ الأولى والثانية والثالثة (يوم إفتوح) ويوم الرابع والخامس والسادس (يوم إذبح) والسابع والثامن والتاسع (يوم إمنوح) أي شتاء جديد في تفسيرات البعض.

وفي هذا الموعد يبرد الطقس ويقول الناس (مالك صيفيات بعد الصليبيات) ويقولون (إن أبرقت على الصليب ما تغيب)، وفي شمال فلسطين في الزيب والناقوره يعرف الناس أن البرق علامة المطر (عند البرق الدنيا بتتخبط)، وأما إذا أبرقت وأرعدت (زواريبها طرطقت) ويقولون عن المحاصيل (متى صلبت خربت)، أي أن المطر بعد الصليب يخرب الزرع ويعتبرون الثالث من تشرين الثاني هو التقويم فيقولون إن العنب والتين يودعان السنة، وفي أكتوبر تشرين أول تجف مياه الآبار فيسارعون إلى تنظيفها

من الأوساخ قبل الشتاء ويقولون عن بداية السنة الزراعية الجديدة (في عيد لد) (شد يا فلاح شد ما بقي للشتاء فعد).

أما أشهر كوانين (هن فحول الشتاء والأرض) والفحول الرمز لإخصاب ويقولون (بيكسب من مطر كانون مثل ما بتكسب الحرمة من الرجل) ويوصف كانون 2 بأنه فحل السنة أو محلها أما شهر شباط فهو غير مستقر (شباط الخباط ما عليه رباط)، أما المستقرضات فإنها جاءت في قصة العجوز وغنماتها والقصة تقول: أنه مرت سنة ولم ينزل المطر فسمع شباط هذه العجوز وهي تقول: راح شباط ودسينا في عجزه (المخباط) فغضب شباط وقال لأخيه آذار يأبن عمي أقرضني ثلاثة أيام من عندك وأربعة مني حتى نغرق هالعجوز وغنماتها) هذا ما قرأته وأكتبته لكن القصة تروى بشكل آخر فالاتفاق صحيح لكن القصة تقول: يا ابن عمي أقرضني ثلاثة منك أربعة مني حتى نجعل العجوز تحرق دولابها أيلم يبق للعجوز من الوقود إلا دولابها الذي تغزل به وتعتاش منه من شدة البرد أما الربيع هو العشب ويؤمنون بان العشب يبقى أسيرة (المربعنية) دفية).

أما الرياح فهي ضرورية وفي ذلك يقولون (ما مطر بلا رياح وما نوم بلا صباح) ويقولون أيضاً (إن هبت غربي يا سعد قلبي) ويتفاءل الفلاح من هجرة الطيور إلى فلسطين ففي بداية الشتاء يقال: (سنة الحمام أفرش ونام) فلا تتفع الحراثة لأن الموسم رديء بينما قدوم طير الزرزور يدل على موسم جيد (سنة الزرزور أحرث في البور) وسنة طير القطا (نام بلا غطا) فلا برد ولا زرع ولا مطر. النظرة إلى الحيوانات والطيور من فالحا وشؤمها فالهرة من الحيوانات المحببة لأنها حمت النبي من الثعبان في غار حراء.

الطب الشعبي

للطب الشعبي حصته الكبيرة في تكوين المعتقدات حيال النباتات الطبية وربما كان للمعتقد الأثر الواضح في الطب الشعبي وعلاجه والأمثلة كثيرة. ففي النباتات والمعتقدات تروي عجائز القرى الإسلامية عن الدالية أن الأسد سقاها ثم سقاها الطاووس فالقرد ومن أنجس الحيوانات في عرف الفلسطينيين الخنزير فهو رمز القذارة والحطة والنجاسة ولا يشتم أحد بالخنزير إلا المكروه.

أما ابن آوى (الثعلب) هو حيوان محتال ذكره في المأثور الشعبي بحيله وذكائه الثعبان: أنجس الحيوانات إطلاقاً في المعتقدات الشعبية وذلك أن إبليس تخفى في جلده ليدخل الجنة ويعتقدون أن الحية خالدة لا تموت لأنها تجدد جلدها كل سنة.

الهرة: من الحيوانات المحببة لأنها حمت النبي من الثعبان فباركها، ويعتقد الناس أن القط ليس نجساً فلا يضر الأدميين الشرب من نفس الوعاء الذي يشرب منه القط ولا يرون هذا في الفئران والكلاب ويقولون: "من يلعب مع القط يصبر على مراميشه" والفأر حيوان نجس في عرفهم لأنه من عطس الخنازير في فلك نوح إذ خرج من عطس الخنزير.

الخلد: ابن عم الفأر وهو من الخبث والاختفاء عن والأرنب: يرمز لأمرين فإذا قيل عن شخص أنه أرنب كان المقصود بأنه جبان شديد الخوف، وإذا قالوا في المرأة (أي أنها بتمشط شعرها ونقرش بيتها) يعني أنها حسنة التدبير في نظافة بيتها وحسن تدبير.

الغراب والبوم: لأنهما يعيشان في الخرائب ويبحثان عن الجيف وكلاهما نجس وتشاؤم للناس من صوتيهما ومنظرهما. فإذا سمعوا صوت البوم يقولون مثل البوم ما يبشر إلا بالخراب.

كان هناك اكتفاء ذاتي لسكان بلدة باقة لوجود الأغنام والأبقار والماعز ومشتقات الألبان إلى جانب توفر جميع أنواع الحبوب من قمح وشعير وذرة وعدس وجميع أنواع البقول وبشكل خاص الحمص والفول والخضار بكل أشكالها، ولم يكن الفلاح بحاجة إلا للسكر والأرز والقهوة والشاي وأهم المأكولات الشائعة عند الناس في البلد هي: العصيدة - الكبة - الثريد - المجردة المنسف لحم مع الأرز واللبن مقلوبة الباذنجان - أو مقلوبة القرنبيط - الملوخية - خبيزة - بامية - منزلة - زيت وزعتر - رشتاي - معكرونة - هندباء .. الخ

ومن الحلويات هي: قطايف بالجبين - قطايف بالجوز - العصيدة - الزلابية - الهريسة - البقلاوة - اللبا مع الحليب - الرب مع. الطحين الدبس مع الطحين والسمسم - الخبيصة - العوامة أو لقمة القاضي - قمر الدين - ودبس العنب - ودبس الخرنوب - ودبس التمر ثم الحلاوة والعسل.

وأهم المشروبات: الحليب - الشاي - القهوة - البا بونج - شراب الخروب وقد شاعت المشروبات الوافدة من الخارج مثل الكولا وعصير الفواكه مثل التفاح والموز والليمون والحليب والسوس.

بعض الأدوات المستعملة في بيوت الناس: تستخدم بعض الأدوات والأشياء ولها أسماء معينة عند أصحابه مثل الخوابة (جمع خوابي) وهي مخزن للحبوب تبني أمام حيطان بيت المونة ولها فتحة أسفلها تغلق بسدادة ويبقى سقفها حرا ليسكب فيه الحبوب لخرنه.

الطناجر: وهي بأنواع كثيرة منها النحاسية والألومنيوم ومعادن أخرى.

الدست: وهو وعاء كبير الحجم من النحاس يستوعب 500 لتر من السوائل يوضع على النار لسلق القمح ليصير برغلا البندورة ليصير رب البندورة أو عصير الخروب ليصير (رب) ويستعمل في الطبخ للولائم في الطعام والمعتقدات في حفظ الأكل والشراب.

يعتقد كل فلسطيني بأن الطعام قسمة ونصيب وأن المرء لا يأكل إل ما قسم الله له، لذلك هناك أقوال مأثورة عديدة بهذا الصدد.⁽²⁾

"إعزم و إلزم والأكل نصيب" وأحياناً يتأخر شخص على العزومة فيأكل شخص آخر طعامه غير مدعو في الأكل فيقولون "ما حدش يوكل نصيب حدا". وإذا قيل للمدعو ليحثه على الاستزادة "أكلت الي فيه النصيب". والأمثلة كثيرة عن الأكل بينما تبدلت البرادات على أنواعها في حفظ الأطعمة لأيام وأسابيع وشهور ومن الأدوات المستعملة عند أهالي فلسطين كانت الحصير أو الحرام والفرشة والمسند والمخدات في غرفة الجلوس (غرفة القعدة) وإذا جاء الطعام محمولاً على طبق من القش يوضع في وسط الغرفة وتجلس الأسرة حول الطبق ويتناولون طعامهم بكل راحة ثم تحول الطبق إلى طاولة قصيرة الأرجل وتلتف أفراد الأسرة وهم جلوس على الأرض ويتناولون الوجبة بحرية وببساطة.

وقد تحول الطبق والطلبية (الطاولة السابقة) إلى طاولة كبيرة أرجلها طويلة. وحولها تصطف الكراسي ويجلس الآكلون على الكراسي ويتناولون طعامهم بكل فخر واعتزاز وهذا هو عصر الجيل الجديد الحالي. أما تموين الغذاء للأسرة فإن الفلاح يسعى لتأمينها في الشتاء حتى لا تجوع أسرته حين ينتهي مواسم الزرع والحصاد. وأهم مخزونات المؤونة السنوية (القطين-وهو التين المجفف-الزيتون حب وسائل-المخللات ورب البندورة ورب الخروب-والمربيات (مربى التفاح والمشمش والعنب والسفرجل والألبان والأجبان والسمن ثم مؤونة القمح وأحياناً مؤونة الكلس ويضعونها في التون عند المحاجر.

الأصل والنسب

يؤمن الفلسطيني دائماً بالعقد الاجتماعي ومفهوم هذا العقد شبيه بمفهوم العقد الاجتماعي الذي تأسس في دولة الاسلام الأولى في يثرب إذ أفاق الاسلام أمة موحدة فوق القبائل ولم يلغ الرابطة القبلية مع أن عقل قوة العصبية القبلية يفسد على الأمة وحدتها، والفلسطيني يؤمن بالحمولة ولكنه يؤمن بالقرية وعصبيتها الموحدة وكذلك بانتمانه إلى أمة العرب ولم يفكر أي فلسطيني بعد زوال الدولة العثمانية أن يطالب بدولة فلسطينية ولحد الآن يكره الإقليمية وكل همة في وحدة العرب لأن وحدتهم هي قوتهم وعزتهم تحفظ حدودهم وخيراتهم وثقافتهم وتعزز حاضرتهم.

بما فيهم ومما يحز بالنفس أساساً ولوعة أن جماهير العرب في العقد الخامس من القرن العشرين هي نفسها أوضاع العرب الحاليين في القرن الواحد والعشرين إن كانت أسوأ حقاً بسبب تعزيز كراسي حكمها في دولها القطرية المقيمة، إذ كلما ازداد عددها ازدادوا فقراً واضمحلت طموحات أبنائها لما تراه من انطواء قادتها تحت أوامر أسيادهم الذين يعملون ليل نهار في تفكيك هذه الدول والسعي لتقسيمها وتقسيم المقسم.

إن الثورات العربية الحديثة أراها تتداعى في تحقيق أهدافها إذا اعتمدت على الأجانب في مساعدتها في تغيير حالها البائسة وقد تحولت الثورات الى هدم بيوتهم وثرواتهم بأيديهم دون دراسة ودراية وإعداد كل ما يلزم للنجاح.

لقد شجعت السلطات العثمانية العائلات الفلسطينية وحرصتها على بعضها سياسة فرق تسد وجعلت لزعامتها الالتزام ومدت عليهم ممن يجمع الأموال للباب العالي وتمكنت بعض هذه العائلات في توسيع قواتها وتمردت على الدولة في استنبول مثل فخر الدين المعني والشيخ ظاهر العمر في عكا وآل شهاب في لبنان ومحمد علي في مصر وظل الصراع طويلاً بين الدولة العثمانية والمتمردين وانعدم الأمن وعم الخراب والفقر والجهل البلاد.

والحرباء: غير محبة لأنها متلونة مثل المنافق. وأخبث الحشرات أم أربعة وأربعين، إذ يضرب بها المثل بالمكر والخبث.

شجرة الرمان: المباركة ولها سلطان على الأرواح الشريرة وكثيرا ما تجمع براعمها وتنظم في قلادة تعلق على صدور الأطفال.

شجرة الزيتون: شجرة مبدلة موقرة في فلسطين لأنهم يعتقدون أن وليا يسكنها ويروى عن قريتي عاقر والنفاني أن عدداً من أشجار الزيتون تشاهد حولها ظواهر غريبة ليلة الخميس وتسمع موسيقى غير مألوفة وإذا هبت الريح من حولها سمعت أصوات تردد الله الله.

أما بالنسبة للوقاية والعلاج الشعبي:

- يقولون درهم وقاية خير من قنطار علاج.
- عصب إصبعك مليح لا يعمل ولا يتقبح
- إن وجعك رأسك أكرمه وإن وجعك بطنك أكرمه.
- كل من الكافر ولا تأكل مع طويل الأظافر.

إن الطب الشعبي يلزم العلاج وكانوا يعتمدون على ذوي الخبرة من الناس وادوات التشطيب لا خراج الدم الفاسد من كاسات هوا وفصد الدم من الوريد أو مسمار كي. والقصب البري يجبر الكسور وكذلك مزج الأعشاب كدواء، وللبثور يستخدم زيت السيرج (زيت السمسم) والقطران والكبريت وزيت الزيتون والحناء المجبولة بالماء والطحينة.

ويعالجون السعال بنبات البابونج وحتى لإدرار البول يغلون الشعير وماء البقدونس والرشح يدهنون الصدر بالزيت الحامي ويسقى المريض البابونج والزوفاء وفي الإسهال يسقى المريض الزعتر المغلي أو الشاي الثقيل وللإمساك ينقعون بذر والخلة في الماء ويشربونه.

أما العلاج الديني:

طاسة الرعبة: وهو إناء على شكل كأس مقعر واسع الفم مصنوع من النحاس أو معادن أخرى منقوش عليه سورة من القرآن على الغالب آية الكرسي أو المعوذات ويوضع فيه ماء غير معرض للشمس، ويسقى المرعوب أو المريض وفي بعض الكاسات ينقش عليها (بإذن الله تشفي هذه الكأس من السموم). وبعض الكاسات توهي للأبراج السماوية لأن لكل إنسان له برج حسب مولده وأحياناً لا يعرف أي برج ينتمي إليه لذلك فإن الشرب من الطاسة يضمن المرء لأي برج ينتمي، وعلى ذكر الأبراج فإنها تختلف في ميقاتها حسب الأشهر الشمسية والقمرية وأعتقد أن الناس هذه الأيام يأخذون بأسماء الأشهر الشمسية، وأني أسهل للقارئ حفظ أسماء الأبراج القمرية ببيت الشعر:

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
وزنوا عقرباً وقوساً بجدي ومن الدلو مشرب الحيتان

ومن الأمثال الدارجة: كثرة منها على سبيل الإيجاز:

- يلعن الشارب قبل الطالب (أدب الانتظار).
- غب غب الجمال وقم أول الرجال.
- أطعم الفم تستحي العين.
- إن غاب عنك السمن عليك بالزيت (للقناعة بالموجود).
- الله يطعم الحمص للي مالوش سنان.
- طلبتها المشتية وأكلتها المستحية.
- اللي بدو يوكل عسل يصبر عقرص النحل.

- يللي عنده قمع يقرضوه طحين.

الديوان هو مقر تجمع زعيم العائلة في البلد أو الحي وهو عبارة عن بناء واسع يسمح لعدد كبير من الزوار والضيوف يحاط بالفرش والمساند يتوسط وعاء معدني فيه أباريق القهوة يدعى منفل وبقربه صينية فيها فناجين القهوة تقدم للضيوف، وتعد جلسات في عقد يتناول فيها الحاضرون شؤون العائلة أوضاع أسرها وبحث المستجدات، وقد لعبت الدواوين دوراً بارزاً الحركات الوطنية الفلسطينية بالتخطيط ومقاومة الاحتلال ومساعدة الثوار بالمال والمقاتلين.

وكان للديوان نشاطات أخرى مثل دراسة شؤون البلدة من ماء وطرق ومدارس ومحاصيل زراعية وتسويقها والمواصلات وغيرها، من دوائر خدمية وفي حالات الراحة وكان رواد الديوان ما بلعب الطاولة أو المنقلة أو الورق وهو على عدة ألعاب منها طرنيب والليخة والسكنبيل ولعبة الخمسة دورات (يلعبها أربعة كل لوحده وتجمع الشدتان من الورق).

ومن الألعاب التي يعتاد القرويين ممارستها وما أكثرها منها مثل:

- لعبة الطابة: تصنع من القماش وتحشى بالقطن والصوف أو بقماش ممزق وتخاط ثم يأخذها الأولاد ويحمل كل منهما عصاة طويلة ويتنافسوا على سحب الكرة بالمرمى وهي حفرة يدخل فيها الكرة ليفوز.

- لعبة الغميضة: تتم القرعة على من يبدأ اللعب ويعصب عينيه وله الخيار بأن يعثر على غيره من اللاعبين ويمسك به، (لعبة الغمامة).

- لعبة العصا والعصاة المثبتة في ثقب حجر ثقيل ومن يستطيع ضرب العصا المثبتة يكسرها أو يزحزح الحجر المثبتة به يكون الفائز.

- لعبة البرش الرواح: وهي لعبة متطورة تؤخذ الطابة المطاطية بيد اللاعب واللاعب الثاني بيده عصا مفلطحة النهاية يقذف حامل الكرة للأعلى فيضربها الآخر فتطير الكرة بالجو وعليه الركض ليمسك بها وهذه كانت يتنافس الأولاد بالقفز ومن يزداد طولاً في قفزه يكون الفائز.

- مسابقات الركض وهي السائدة بين اللعب ومن يفوز في قطع المسافات يكون الفائز.

- **القفز العالي:** يمدد حبل بين عمودين بارتفاع من السنتم فإن كان الولد عمره ست سنوات يثبت الحبل على ارتفاع 30 سم وأن كان عمره فوق ذلك يرتفع الحبل حسب الطلب، أما في الوقت الحالي فإن اللعبة تطورت إلى درجة كبيرة من التقنيات.
 - **لعبة المنة:** وهي عامة يلعبها الأولاد طيلة العام، ولعبها يتم كالآتي: يؤخذ عود من غصن شجرة طوله طول مسطرة (20-30سم) على حجر يشكل مائل ثلثه بارز للأعلى ويقوم اللاعب ويضرب الطرف البارز من العود بعصاه فيطير العود في الهواء ويبعده عن الفريق المنافس وإذا التفته هذا الفريق صارت اللعبة لهم.
 - **لعبة المنقلة:** يقتصر لعبها على اثنين من اللاعبين وهي لوحة من الخشب يتراوح طولها بين 40-50 سم محفورة بأربع عشرة حفرة مقسومة إلى قسمين كل صف سبع حفر ويوضع في حفرة واحدة 7 حبات من الزيتون أو حجر رسوبي بحجم حبة الفول ويبدأ اللعب عادة الكبير في السن إذ يأخذ اللاعب الحبات السبع من حفرة الحبات في الصف الأول ويوزعها على الحفر الخاصة بصفه مبتدئاً من اليسار إلى اليمين وعندما ينتهي يبدأ اللاعب الثاني في اختيار الحبات التي تكون في الحفرة التي من جهته ويوزعها هو الآخر، ويضع في كل حفرة حبة واحدة كما فعل اللاعب السابق وهكذا عندما يوزع الحبات إذا كانت في الحفرة التي تحتوي على حبة واحدة فيربحها، أي يأخذ وإذا كانت آخر حبة في حفرة تحوي 3 حبات أيضاً يربح أربع حبات، أما إذا كان أكثر من جواربع فلا يربح ويستمر اللعب حتى لا يبقى أية حبة في الحفرة وعندها ينتهي اللعب. وفي الأعياد يذهب الأطفال الى المراجيح بأنواعها ويشاهدون مراكز عرض الصور عن طريق صندوق العجائب أو الكراكوزاتي أو الحاوي لاعب السحر أو الذهاب الى المدينة للتدرب على النيشان ببارود الخردق أو استئجار الدراجات وغيرها من الألعاب المتوفرة.
- أما هذه الأيام فإن ألعاب الفيديو المتعددة والجوال المتنوع الأهداف يشغل الناس كبيرهم وصغيرهم ويأخذ الوقت الكبير من نشاطاتهم وحولهم إلى عوالم أخرى تستنفذ أوقاتهم وتستهلك نفقاتهم وتلهيهم عن الأكل والشرب في كثير من الأحيان تضعف أجسامهم التي حرمت من اللعب والمرح والرياضة

وتلهيهم في كثير من المرات عن تأدية واجباتهم المدرسية حتى كاد (ال آي فون) يخدر عقولهم وأحاسيسهم رغم المنافع التي يكتسبها العاقلين من المستخدمين.

التعاون: هناك عادات التعاون في الزراعة في حراثة الأرض وبذر البذور أو زرع الأشتال وجمع الثمار (الزيتون) والحصيد وجمع الإنتاج ونقله إلى البيدر أو المعصرة للزيتون، وتتجلى فكرة تعاون أهل باقة الشرقية أثناء الأفراح والأتراح والحرائق ومصائب الطبيعة فتراهم عند الزواج يشاركون أهل العريس والعروس بكل جوارحهم يخففون عنهم الحمل الثقيل، وكذلك بالأتراح والمصائب يشاركون أهلها بالأسى والحزن والأسى.

إن العقد الاجتماعي في القرية كبير وقوي عميق وبشّل خاص في الماضي القريب بينما أخذت تقل هذه الأيام وتحولت المراسيم إلى صالات من بناء واسع كبير مجهز بالطاولات والكراسي تزينه الورود والكهرباء وساحات الرقص في الأفراح تقدم فيه أطباق للطعام والحلويات والفواكه وفي الأتراح تكون القاعة واسعة أيضاً معمرة بالسواد مليئة بالكراسي للمعزين من أهل القرية وغيرها. كانت الأخبار تصل بعد يوم أو أكثر في الوقت الحاضر يصل الخبر إلى كل أهل القرية خلال ثوان عن طريق الخليوي.

إن المجلس المحلي في بلدة باقة الشرقية الممثل برئيسه وأعضائه ومريديه يتحملون العبء الأكبر من هدف التعاون لأهل البلدة ويساهمون في كثير من مراسيمه لا سيما الاجتماعات الطارئة والهامة في قاعة البلدية لما هو ضروري من خدمات جديدة طارئة.

تقوم المدارس في بلدة باقة الشرقية في بعض النشاطات الخدمية للبيئة من غرس الأشجار ورصف لبعض الطرق وزراعة حدائق المدارس وتجميلها بالأزهار وبناء المصاطب الزراعية وتنظيف المدرسة ومرافقها من الشوائب والأوساخ. التعاون بالأبنية جرت العادة في معظم قرى فلسطين مساعدة البناء في سقف البناء عن طريق قيام شباب القرية أو بعضهم مساعدة بنا البيت عند شققه (الطوبار) وذلك يخلط الرمل الكلس مع الإسمنت لإعداد الجبلية ثم ينقلها على أكتافهم بتسلك السلالم المتعددة إلى سطح البناء وهنا يفرغون الخلطة إن كانت خلطة (إسمنت رمل) أو أسمنت أو كلس و(إسمنت أو طين مخلوط بالتبن) (سيقان الحنطة والشعير)، وإذا كان سقف البيت بشكل قبة ينتظرون البناء ليضع آخر حجر بالقبة وهنا تبدأ الأغاني والزغاريد والتكبيرات، بعدها يقوم الشباب بنقل التراب والبحص والحجارة المحمولة لردم فجوات القبة حتى تتساوى مع السطح ثم تغطي بطبقة من الرمل والإسمنت وتسلط على

فتحة ينزل منها مزارب ينقل الماء عن السطح الى أسفل ليصب في بئر معد لخزن ماء الأمطار ليستخدم في الصيف في التنظيف أو سقاية الماشية والحيوانات الأخرى.

في كثير من الأحيان كانت تذبح ذبيحة وتطبخ للعاملين عرفاناً وتقديراً لمساعدتهم الحميدة ويتجلى التعاون بالحصيد ونقل الحصيد على الجمال إلى البيدر وجمع الزيتون بعد قطفه الى المعاصر وفي الأتراح يحاول أهل البلدة التفريج عن المصابين بمواساتهم ودعوتهم للطعام أو مساعدتهم في الإكساء أو المال ومواد المؤونة وما أكثرها. هذا قليل من كثير ذكرته من عوامل التعاون في القرية.

والأمثال الفلسطينية منها الكثير تستخدمه معظم قرى فلسطين مثل:

- الديك الفصيح من البيضة يصيح.
- بدلو غزلانها بقرودها.
- بيت الأسد ما بيخلى من العظام.
- برش على الملح سكر.
- بين حالنا ومالنا ضاعت لحانا.
- تاجرنا بالكفان بطل حدا يموت.
- تعلم البيطرة بحمير النور.
- تتيتي تيتي مثل ما رحتي مثل ماجيتي.
- جارك القريب ولا أخوك البعيد.
- إجا يكحلها عماها.
- جرح السيف بيلتئم وجرح اللسان ما بيلتئم حاميتها حرميها.
- حط راسك بين الروس وقول إقطع يا قطاع الروس.
- حضروا العرس والعريس ما خطب.
- خذ الأصيلة ولو على حصيرة.
- خبر اليم بمصاري بكرة بصير ببلاش.
- خذ بنت عمك بتشيل همك.
- دخن عليها بتتجلي.
- درهم وقاية خير من قنطار علاج.
- دود الخل منه وقية.

- ذيل الكلب أعوج ولو عداته.
- راح قدوم رجع منشار.
- زاد لطين بلله.
- زي الأطرش بالزفة.
- زي مسمار جحا.
- سباعها نامت وثمانها قامت.
- سبع صنایع والبخت ضایع.
- سيد القوم خادمهم.
- سلاح بيد الجبان بيخرج.
- شتان بين الثرى والثرية.
- شابل القدر من ذيله.
- شرابة خرج.
- صارت عظامه مكاحل.
- صاحت عصافير بطنه.
- صام الدهر وأفطر على بصلة.
- طلعا من تحت الدلف صرنا تحت المزاريب.
- عصفور باليد خير من عشرة على الشجرة.
- عادت حليلة لعدتها القديمة.
- عمره الدم ما ابصير ميه.
- غلطة الشاطر بمئة.
- على قد فراشك مد زجليك طلعا من تحت الدلف صرنا تحت المزاريب.
- عصفور باليد خير من عشرة على الشجرة.
- عادت حليلة لعدتها القديمة.
- عمره الدم ما ابصير ميه.
- غلطة الشاطر بمئة.
- على قد فراشك مد زجليك.
- ضرب الحبيب زبيب.

- ضربتين على الرأس بتوجع

المراجع:

(1): مصطفى الدباغ، "بلادنا فلسطين - في الديار النابلسية الجزء الثاني"، دار الهدى: كفر قرع، 1965.

(2): الفيس بوك مؤسسات شويكة

(3): عبد الكريم رافق، "الموسوعة الفلسطينية - المجلد الثاني"، هيئة الموسوعة الفلسطينية: رام الله، 1984.

(4): الموسوعة الحرة ويكيبيديا

(5): تعيينات في دراسة المساكن للدكتور أنور نعمان قسم الجغرافية جامعة دمشق

(6): فيكتور سحاب، "الموسوعة الفلسطينية خاص - المجلد الرابع"، هيئة الموسوعة الفلسطينية: رام الله، 1984.

(7): الفولكلور الفلسطيني ج1 نمر سرحان

(8): فيكتور سحاب، "الموسوعة الفلسطينية خاص - المجلد الرابع"، هيئة الموسوعة الفلسطينية: رام الله، 1984.

(9): مروان الماضي، "أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير"، عمان: دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.

الفصل السادس

الفولكلور الفلسطيني في بلدة باقة الشرقية

(الغناء وأنواعه الزواج ومراحله وعادات متنوعة) الفولكلور الفلسطيني

(الغناء تعريفه أنواعه معانيه الزواج ومراحله ولادة الأم وألعاب الأغاني والغناء - الزواج - الولادة والألعاب.

الغناء

هو صناعة في أداء الألحان المصحوبة بالكلام الدال على المعاني وتشترك الأمم في العادة على اختلاف فطرتها وتطورها الحضاري والظاهرة الطبيعية، إذ أن حنجرة الإنسان تتكون من أوتار متفاوتة والفرد العربي غناؤه بطريقة فطرية لا شعورية تجعل أوتار صوته تهتز على مداها الكامل، فيصدر الصوت وكأنه خارج من الصدر ويلقب مثل هذا الصوت تكتيكياً بالصوت الصدري، أما الغربيون فيختلفون بطريقة يهزون بطريقة مدروسة اهتزاز بأجزاء من أوتار الحنجرة فقط مع ارتخاء بالحلق وتنفس من الأنف، ويعرف هذا الصوت بصوت الرأس وقد حدد خبراء الفن أنواع الأغاني العربية بما يلي:

- 1) التحنين: أغاني للحجاج.
- 2) النذب: تقوم به نساء محترفات تعبر عن الحزن.
- 3) المطوعة: أغنية الزفاف للمرأة البدوية.
- 4) القصيدة: ذات القافية الواحدة في الطرفين الثالث والرابع.
- 5) الموالم: على نوعين (موال مصري وموال بغدادي).
- 6) العتابا: اعتبرها موالاً ذا أربعة سطور.
- 7) الهلابا: شطران ينتهيان بكلمة هلابا، كذلك مطالع المعنى والقريدي.
- 8) الجعيدي: نسبة لشاعر مصري معروف بجعيد.
- 9) الزجل: ومن مميزاته إعطاء الكلمة الأخيرة في الشعر عنوانه، مثل الميجانا - موليا - زينه - هويلي.
- 10) الترويد: تعني في الأعراس ولدى البدو وعند حلب المواشي.

(11) **الحداء:** غناء أثناء رعي أو قافلة الجمال.

(12) **أهلالات:** وتغنى في الكروم، كما تشمل الشوباش ثم الزغردة وتقال (إيها) في شمال فلسطين و(آيها) في جنوبها. (1)

وبعض الأغاني يحمل صفات مصرية (يا عزيز عيني) ومن السورية واللبنانية أو عراقية. زريف الطول، مرمر زمني وغيرها.

ومن العراقية الموالي البغدادي والميجانا ومن البدوية، وإن أكثرها انتشار من الأغاني في كل القرى بفلسطين هي الدلعونة وتأتي على طريقتين في الأداء يلتزم بأحدها عازف الناي أو المجوز أو الربابة المنفرد.

فيما يتعلق بالمغنى فلا بد أن يكون ذا موهبة موسيقية وحس مرهف وقدرة على الارتجال لحناً وتضامناً وبالنظر إلى عدم وجود مكبرات الصوت قديماً كان المفروض أن يكون المغني صوته عالي جهوري قوي، ومن مؤهلات المغني أيضاً أن يكون ذو ذاكرة قوية يحفظ الكثير من الأغاني والأشعار وفي الأعراس عادةً يبرز إلى الساحة شاعران للمناظرة والتحدي حول موضوع معين مثل الفلاحة والمدنية والبيضة والسمره والعلم والمال والكرم والبخل والسيف والقلم وغيرها والكثير منها ما يحدث في السحجة، تكون الخلفيات الاجتماعية للأغنية الشعبية في ظروف المجتمع وعاداته وتقاليده من البداوة إلى الزراعة وحياة المدن، إذ تبين العادات التي تركز على الأسرة تقليدية فالأسرة تعزز بأمجادها وتحاول دوماً أن تحتكر المكانة الاجتماعية في مجتمعه كما أنها تعزز بصلاتها الدموية ثم تماسكها الوحيد ضمن إطارها (أنا وابن عمي على الغريب) والزواج بنظرهم هو اتحاد بين أسرتين أكثر مما هو اتحاد الزوجين وتحتل عصبية الأقارب القائمة على تفضيل ابن العم حتى على ابن الخالة وما ينتج عنه من مشاكل وإضاعة للفرص المفضلة للعروسين فيما ترك لهما حق الاختيار.

إن حال الموت لا رده على عمري

ابن العم يا شعر على ظهري

إن حال الموت لا رده بأيدينا

ابن العم يا نوبي علينا

وفي حال زوج الأب ابنته من غير ابن عمها طمعا منه بمهر أكبر فتقول الأغنية:

يا ابن العم يا كومة تراب يا ابن العم أخذوهم الغريب

يا ابن العم رميته للضبوع بنات العم أخذتهم السبوعة

والفلاح يشارك جاره في السراء والضراء متمنياً الخير لجاره، والجار أولى بالشفعة الجار ولو جار -وقيل من أدري بحالك، والجواب ربك وجارك.

وتغني النسوة عادة فيزغردن ويقلن:

ها هي يا جارا يا مجاورني

ها هي يا جار الرضى ما انت جار خواني

ها هي ما انت طلاع ع حيطان جاراتك

وعصبية الجاه والمركز وآثارها الاجتماعية، إذ أن للطبقة أثرها في الفرد الفلسطيني وأغلب الأسر الفلسطينية كانت في الماضي تعيش على هامش الحياة الزراعية، وهناك طبقات من الأثرياء والتجار، وملاكي الأراضي والعقارات وكثيراً ما تشير الأغاني الشعبية إلى هذه الفروق فيتباها أصحاب الجاه بما لهم من نفوذ كما تتفاخر نساؤهن بلبسهن الثمين ويقال:

يا بو العروس نلبس ملوكي لفت عليك الأمانة والدرائش

ريدونا ريدونا نسايب لاتزعلونا

عادتنا نلبس شناير ما بتناسب الأأكابر

ردونا رودونا نسايب لا تزعلونا

إن أغلب الأغاني الشعبية وكذلك مفردات الفولكلور الفلسطيني لأن الجذور واحدة والمنطقة مشتركة والعادات متكاملة الكم والنوع، وعن الغربة الطويلة ويقولون:

وأغمس ريشتي في قلب قلبي وأدمي وجهه مغتصبي بحد سكاني

وإن كسر الردى ظهري وضعت مكانه صوان حطين

وتأكيداً على الهوية الفلسطينية يدعو معين بسيسو إلى الحذر:

يا جلدنا حذار يا وجهنا حذار

يا وجهاً الذي أراه كلما استدار وكلما أوشك أن يصير بديراً أطلقوا عليه النار

وصورة الوطن لسميح القاسم وهي متعددة إحداها قامرت في ملهى السنين وخسرت جوهرتي الفريدة في
مزد الآخرين وبكيت في أسف وأخفيت دموعي ودفنت في صمت أزهارى ورجعت للبيت
الحزين أبكى على جدرانه وأبوح بالسر المعين
من المواويل:

على فراق الولف قلبي لوانى صرت مصدوم واتغيرت ألوانى
يا ريتتي عقد والصايغ لوانى مخبأ بين نهديك والثياب
ومن المواويل الموزونة وارتباطه بالبحر الوافر:

يا طولك طول الزان لو مال يا شعرك حيد والجدال لو مال
وبوكي لا قيل أرضاً ولا مال أكيف الرأي عندك والجواب
المواويل وما يتعلق بالأرض:

حراث يا عمي رمي على البقر رمي
وكم مليحة تقول للنذل عمي
حراث يا خالي لا لي عا ابقر لا لي
وكم مليحة تقول للنذل خالي

أما مخاطبة المنجل:

منجلي يا منجله راح للصايغ حلاه
منجلي يا بو الخرافيش طاح بالزرع يطاحن
منجلي يا بورنه وأنا جبته من غزة

وعن قطف الزيتون:

يا زيتون إقلب ليمون إقلب مسخن في الطابون
يا زيتونة بو مري هر لي بلح هرلي
يا زيتونة بو عرموش هر يلي ذهب وقروش

ومن غناء الرعاة التي تتحدث عن الراعي الذي ترك مهنته ثم عاد وقت طويل:

طلبن الغنم من قرنة الزنار عرفت الغنم وأغشمت هالرعيان
طلبن الغنم من قرنه الوادي عرفت الغنم وأغشمت الراعي
أما دعاء طلب المطر:

يا رب ما هو بطر بنطلـب منك
يارب ما هو غية بنطلب منك مـيه
يا رب مطر مطر حتى نسقي هالبقر
يا رب رشاش رشاش حتى نسقي هالجاش

وغناء البناء والبنائين:

صلى الله عالزين الهادي ومعانا مدوا الأيادي
ثم يغني أصحاب البيت لمعلم البناء:
إعطوا المعلم عقاده ما طلب اعطوه عكا مع حلب
يا معلم مبروكة الدار بيكبروا ويسكنوعا الصغار
أما علاقة الفلسطيني بالبحر:

فلان نزل البحر وبيده كيله
يا رب يرجع لها العيله
فلان نزل البحر وبيدوا بريق
يا رب يرجع سالم من هالطريق
فلان نزل البحر لولح محرمته
يا رب يرجع سالم لحرمته

وينشد الصيادون سواء على الشاطئ أو في عرض البحر:

واجي طولك على طولى بلا قيس وبحر حايط الدنيا بلا قيس
وحق مين خلق الدنيا بلا قيس قلبي ما هوى غيرك حدا

بالنسبة للدلعونا: تمتاز بأوزان خاصة وقد عرفت الدلعونا في جميع أنحاء فلسطين، ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه إلى مسقط رأسه فيقول:

على دلعونا على دلعونا نسسم يا هوا الغرب الحنونا

والله إن تمت ياما إقبروني بأرض بلادي بفي الزيتونا

وزريف الطول يقوم الشعر على نفس نمط الدلعونا على مجزوء بحر الرمل:

يا زريف الطول يا أم السن الضحوك ياللي راببي بدلال أمك وأبوك

يومن جانا الخـبر إنهم خطبوك شعر راسي شاب وقلبي انكسر

وهي أغنيات الدبكة: إذ تلتزم هذه الأغنيات في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع ألف ممدودة:

عالمين يا ام الزلف عاين الزلف لينا

قلبي جرحه الهوا وين الدوا ليها

جفرا ويا هالربع عا البير نشالي

يامزنرا بالطقم فوق الطقم سالي

ومن الأغنيات الشهيرة للعريس (عريسنا عنتر عبس) يرددنها الرجال في موكب الزفة أثناء مسيرتهم:

عريسنا عنتر عبس عنتر عبس عريسنا

عريسنا زين الشباب زين الشباب عريسنا

عريسنا ابن الكرام ابن الكرام عريسنا

واللي يعاديننا نذبحه ونقطعه بسيوفنا

وللزلج أنواع شائعة في الشعر الشعبي العربي:

بدنا نحكي بدنا نقول ما بدنا حكي وطبول

بدنا نحرر بلدنا هذا الكلام المعقول

وكما في الزجل فإن المعنى يؤدي من قبل مغن أو اثنين ويسيطر على المغنى جو عاطفي حزين:

قال المثل عمر الأسى ما بنتسى شط بحر الفن مركبنا رسا
يللي بلأمس جنحه انكسر حاول الفرار أو ريشه كسا

والعتابا: وهي الأغنية الشعبية المفضلة في بلاد الشام وتحتل المرتبة الأولى بين ألوان الغناء الشعبي في فلسطين. ويمكن أن تغنى العتابا بدون موسيقى أو برفقة الناي (الشبابة) وهذا النوع أكثر شيوعاً في الجليل في الغزل وقيمة المكان يقول:

نزل دمعي على خدي من الرأس على اللي حمل الجرة على الرأس
نسوا ديرة بعلبك مع الرأس وحنا كروم زحلة والعنـب

يتمنى الشاعر عودة كل غريب إلى بيته وبلده عله يجتمع بمن يهوى:

زرعت الهم في قلبي ع بيته يارب ترجع الغائب ع بيته
وأبو سقا الله يوم كنتم لنا قراب لهم أحباب بيوفونا السحاب

بيوم الأرض:

ليوم الأرض يا هالعرب عدوني صهيون عا سخنين عدو
سبع شهدا بالبلدين عدو وقنابلهم بعراة لها عدو

وعن تشريد شعب فلسطين ولجوئه للمخيمات والكهوف بقوله:

شعبنا اللي سكن مغر ومخيمات لقي علقات مرات وخيمات
بني صهيون أحرقوا حرمانا للعار عاكل العـرب

مناسبات الرقص الشعبي هي نفسها مناسبات الغناء الشعبي وتتجلى كما يلي:

1- **الدبكة:** وهي رقصة شعبية تعم بلاد الشام كلها وهي أنواع منها الدبكة الشمالية، والطيارة، والعرجاء

والفتوحية والفرادية (الكرادية) والسعاوية والمثلثة. وعلى سبيل المثال: فإن الشعراوية تشبه بالدبكة

الشمالية وتقتصر على الرجال بسبب عنفها، وهي السائدة في شفا عمرو وقضائها. وتختلف الكرادية

عن النموذج العام للدبكة الشمالية بعدم وجود ملوح فيها وباشتراك النساء فيها بكثرة، والدوائر هي

الشكل الذي تتخذه حلقة الراقصين، ويتوسطها عازف الناي، ويفيد أكثر من مرجع أن دبكتي الطيارة

والخليلية، تمتازان بالرشاقة والحركات المجهدة وانهما تحتاجان إلى مزيد من الانضباط والدقة في الرقص.

2- **السامر**: وهو يمثل الحفلة الشعبية الساهرة التي تقام بمناسبة العرس ثم صارت كلمة السامر تطلق على ذلك النوع من شعر المواليا الذي يؤدي بطرق جماعية بالتناوب بين فريقين ويتبنى هذا الرقص (السامر) مناطق جنوب فلسطين أما في شماله فيقال له السحجة.

3- **السحجة** يلزمها المعني يلتزم بجناح في السحجة ويغني آخر في الجناح الثاني وتبدأ المباراة (الأغاني) بأشعار شعبية لها أوزان يقابله الفريق الآخر بأشعار بنفس الوزن وعادة تهدف هذه الأغنيات مفاهيم مثل الكرم والبخل والشجاعة والخوف، الغنا والفقر وغيرها..... إلخ. (1)

(الأفراح والأتراح) (الغناء، الزواج ومراحله والأعراس)

من سلوكيات مختلفة بعض الشيء تقوم الأم وبناتها بالتفتيش عن الفتاة التي تليق بجناحه ويتم الاتفاق مع أهل العروس دون أن يرى العريس فتاته أو تراه وبعد الاتفاق على الإجراءات (من مهر مقدم مؤجل عند المسلمين) يذهب ثلة من الرجال إلى بيت أهل العروس لخطبتها رسمياً وتبدأ الخطوات بالخطبة ويتجلى في:

1) **الخطبة**: من المتعارف عليه أن أهل العريس هم الذين يتولون اختيار العروس والخطبة والزفاف وتتم الخطبة عندما يقتنع الشاب بالفتاة التي اختيرت له، مع العلم أن العريس في كثير من الحالات فيما مضى لم يرى العروس ولم يسبق له أن شاهد فتاته أو تكلم معها لأن هذا كان محظوراً وغير مرغوب فيه حسب التقاليد والأعراف البالية.

وفي بعض الأحيان يترك الشاب لأهله (أمه وأخواته) البحث عن الفتاة ويستقبل أهل العروس الوجاهة بالترحيب والتكريم، ثم تقدم القهوة لرجل وهو وجيه الخطبة فيأخذ الفنجان ويضعه جانباً ويبدأ بتحية الجميع ويطلب الفتاة من وكيلها، وكان في الماضي تتم الخطبة بكلمات وجمل مفيدة بينما تطورت الخطبة هذه الأيام إلى محاضرة تشيد وتميد بخصائل العائلة والمجتمع ويكون الحديث مملاً حقاً كما وجدته في عمان مثلاً، وقد قرأت فيما مضى خطبة عم الرسول صلى الله عليه وسلم (أبوطالب) ليخطب خديجة بنت خويلد بقوله: "الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي محمداً من لا يوصف به أحد من شباب قريش إلا ورجح عليه عقلاً ونبلاً ومروءة

وأمانة وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتكم من الصداق فعلي"، ويتم العطاء وتقرأ الفاتحة على نية الوفاق والتبريكات وعندها يشرب الطالب فنجان القهوة ويشرب الحضور أيضاً عندها تسمع النساء الموافقة تأخذ النسوة بالزغاريد والغناء والتبريكات ويقدم الشراب ومن الأغنيات التي تنال:

ع الزنزلخت ع الزنزلخت
ريتك يا حلوة من حظي وبختي
بدك أبادلك ببادل بختي
بدك مصاري بدفع مليوناً

ثم تردد أغاني معاناة الشباب من غلاء المهر فيقولون:

على دلعونا يا مدلعنية
وصاروا يطلبوا في البنت مية
صاح العزايي ب ياببي
منللى مصاري أجيب المزيونة

(2) التحضير للزواج: يدفع الشاب مهر عروسه حيث الإتفاق ويقوم أهل العروس بشراء الحاجات لابنتهم من ثياب وحلي وفرش وغيره وكثيراً ما كان المهر يرهق الشباب ويشتهم عن الزواج لفداحة النقد المطلوب.

وقبل حفل الزواج تنقل أغراض العروس الى بيت العريس بواسطة النسوة إذ يحملنها وهي موضوعة بصناديق وصواني وأطباق وبقج وهن يرددن الأغاني في زفة من بيت العروس الى بيت العريس حفلات الزواج:

تقام السهرات ويقال لها التعليلة وذلك مساء كل يوم ولمدة تتراوح بين ثلاثة أو سبعة أيام وهي فترة إعداد العروس للزفاف من تجربة للألبسة والحناء والزينة كما يسهر الذكور على ضوء القمر أو مصابيح (لوكسات) ويتدربون على الأغاني والدبكة، ويسبق كل ذلك دعوة المعارف ووجهاء القرى المجاورة لحضور الحفل الى جانب دعوات أهل القرية من رجال ونساء.

وفي يوم العرس تأتي وفود المدعوين من مناطق متعددة وهي تحمل معها الهدايا وغالباً ما تكون ذبائح أغنام وأكياس سكر وأرز وقهوة وغيرها من المؤن المطلوبة للعرس.

ينهمك أهل العريس وأقربائهم في استقبال الضيوف وإعداد الطعام من ذبح الخرفان وتقام الموائد ويتناول الضيوف طعام الغداء، وعند العصر تبدأ مراسم الدبكة والغناء وسباق الخيل وأحياناً المنافسة في رمي الرصاص لإصابة الهدف.

ويكون هذا الحشد من الناس فرصة لتمتين عرى الصداقة والتعارف بين الناس وفي كثير من الحالات تحل مشاكل وتوثيق علاقات بين الأسر.

تغني النساء أمام العروس أثناء خروجها الى بيت عريسها أغنيات بقولهن.

يا محمرة يا مبودرة وألفين حق الكندرة

حلفت يا فلانه مابطلع إلا الحامله حاضرة

ومن أغاني الزفاف الشهيرة للعريس يرددنها الرجال في مواكب الزفة في مسيرتهم يرافقون العريس إلى بيت العروس بقولهم:

عريسنا عنتر عبس عريسنا

عريسنا ابن الكرام ابن العريس عريسنا

عريسنا زين الشباب زين الشباب عريسنا

والي يعاديننا بنذبحه ونقطعه بسيوفنا

ويركب العريس على حصان مكتمل العدة ويحلى صدر الحصان بالقلائد والحلي وأغلبها من الذهب الخالص، الزخرف ويجمل بالحلي الذهبية من رأسه حتى صدره وكذلك الحال حصان العروس.⁽¹⁾

ومن الزغاريد التي تحيي أرباب الأسرتين وتمجدهم وتشير إلى مكانتهم، وعلى غرار التقاليد العربية (المهااة التالية):

إيه ويها يا بو فلان لا ترخي الحبل فينا

إيه ويها ولا تشمت بنا شـامت

إيه ويها حنا ان رحلنا جعلناك الدلو

إيه ويها وحنا ان نزلنا جعلنا بيتك الغالي

العتابا: تتضمن العتابا معاني ومفاهيم للقيم الاجتماعية وتستخدم الفخر والمديح وأكثر العتابا تأخذ جانب الغزل بقولهم حول صيد الطباء الأنسية والتي حفلت بها الأغاني، وفي كثير من الأحيان تتحدث عن الصياد العاشق وعن الغزال الشارد والحمامة الجميلة وقد أصابت الغزلان قلوب العاشقين بقولهم:

ثلاث غزلان ناحي العين ماضين بقلبي ناصبات العين ماضين

كشف الطبيب جرحي وقال ما ظن ما ظن يطيب مجروح الهوى

ونرى العاشق متيماً بجمال فتاته التي جمعت القوام الرشيق والشعر المائل والعاشق محتار معذب بعدما رفض والدها طلبه فيقول:

يا طولك طول عود الزان لو مال
حير الجـدال لو مـال
وبوكي لا قبل قبل فضة ولا مال
أكيف الرأي عندك والجواب

إن الأغاني كثيرة عديدة متنوعة وكل منها معانيه ولحنه منها:

يا زريف الطول ودلعونا: ويتغزل المغني بحبيبه التي عاشت بدلال أمها وأبيها ولكنه يفاجأ بخطبتها لغيره فيقع عليه النبا وقوع الصاعقة فيقول:

يا زريف الطول يا أم السن الضحوك يللي رابيه بدلال أمك وأبوك
يومن جانا خبر أنهم خطبوك شعر راسي شاب وظهري انكسر

ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه إلى مسقط رأسه فيقول:

على دلعونا على دلعونا نسم يا هوا الغربي الحنونا
بالله إن متت ياما اقبروني بأرض بلادي بفي الزيتونا

الغزِيل: وهي تسير على نمط مماثل، فهي أغنية قصيرة تتألف من بيتين من الشعر وتتفق الأَشْطَر الثلاثة الأولى بقافية واحدة بينما تختلف قافية الشطر الرابع والخيرة وتنتهي بالمقطع (با) وهذا ناتج عن عبارة أهلا.

ياغزيل يا بو الهييا ياغادي يا معذبا
زرتونا وشرفتونا أهلا وسهلا ومرحبا

وفي الأعراس تقام الدبكات والسحجات ويأتي الحداؤون (الشعراء)، ويلقون أشعارهم الغنائية التي تتناول المدح والذم والافتخار والغزل وجميع أصناف المصطلحات والمفاهيم والقيم.

وقد جرت العادة أن يقف الشاعر أمام صف مستقيم من الرجال ينشد أغانيه ويقف الشاعر الثاني مواجهاً الأول ويتباريان الأقوال الموزونة بمواقف حيوية معينة على سبيل المثال تناول الشعر السمرة والبيضا

وينتصر الرجال لأي فريق، وفي كثير من الحالات يؤيد الجميع الأفضل، وفي حالات كثيرة تتداخل النعوت السيئة والألفاظ البذيئة وتصل إلى العراك بين المناصرين للشاعرين، ومن هذه الأغاني:

قالت البيضا اسم الله علينا يا ورد مفتح حوالينا
يللي سافرتو عودوا إلينا لا تطيلوا لجفا تزيد الهموما

السمرء:

قالت السمرء واحنا الهرايس واحنا المحارم بيد العرايس
روحي يا بيضا يا لبن مايص واللي بيهواك يصبح مجنونا

ترد البيضاء:

يا ميخذ السمرء ويش بدك فيها يا رمل البحر تنو يجليها
في البير الخارب ووالله ارميها واحكم عليها حكم فرعونا

أبو الزلف: هي أغاني الدبكة تلتزم هذه الأغاني في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع الألف الممدودة.

عا لعين يا بو الزلف عين الزلف ليا
قلبي جريح الهوا وإنتي الدوا ليا
جفرا ويا هالربيع عالبير نشالي
وازنرا بالطقم فوق للطقم شالي

ولادة المرأة: عندما تلد المرأة تخرج القابلة لإعلان النبأ فإن كان المولود ذكراً تعبر الزغرودة عن الفرح والسعادة بخلاص الأم ونجاتها.

إيه ويها جابت وقامت إيه ويها وع فراشها ما نامت
إيه ويها ولك الحمد يا رب إيه ويها وما تشمت فيها شامت

وفي غناء آخر للمولود يقولون:

إيه ويها يا بلبل على الشجر إيه ويها عيش وأكبر يا ذكر
إيه ويها يا عطية ربنا إيه ويها ومانال إلا اللي صير

وقد تلجأ المهااة أحياناً إلى التعميم، فلا تذكر المولود اذكر أم أنثى، وإنما تقتصر على دعاء بشفاء
الوالدة وقيامها بالسلامة:

إيه ويها وقفت حمامتــــا إيه ويها وبقلب طاقتنا

إيه ويها لا فرحنا ببنت وصبي إلا بسلامة حبيبتنا

تنويم الطفل: تحاول الام هز السرير الخشبي في الماضي أو المرجوحته وتأخذ بالغناء ويدعى هدهدة:

نامت عيونك وعيون الحق ما نامت

وما ظلت شدة على مخلوق ودامت

ويقولون أيضاً:

هللي له يا حمامة هللي له تينام

وافرشيله الأخضر والوسايد وريش النعام

ترقيص الطفل: وترتبط بنمو الطفل وفق ما تدرك الأم أن الوليد يتحمل اللعب والترقيص، وذلك بوضع
يديها تحت إبطيه ورفعها إلى أعلى بحركات ترافق الأغنية، كالتالي:

ميمته ياميمته ياربي تخليــــه

وتخليه لمويمته وتكحلله عينيــــه

وإن شاء الله بيكبر ويحمي هالشباب

ويحمل على جنبه سيف وجراب وشبرية

أغاني الختان: وهي متنوعة وليست هناك أغنية متخصصة فالأم تغني ما يحلو لها من مهااة وأغان
عامة غير أن هناك أغاني بهذه المناسبة تتكرر مثل:

طهروا ياشلبي وناولو لأمه يا دموعوا لغالية نزلت ع كمو

ومطهر يا مطهر امسح بالشفرة لا توجعلي رياض ابن الإمرأ

اللعب مع الغناء: تتناسب هذه الألعاب مع سن الطفل وعندما يصبح الطفل قادر على فهم ما يقوم به
يؤدي الأب والأم بعض الأغاني ترافقها الألعاب منها مثلاً:

يا منيمسه يا منيمسه يا حبة القريمشة

بعثنتي معلمتي اشترى راس البصل

وقع مني وانكسر

يا أم الحلق والدبوس

وهناك لعبة تداعب الطفل بعد المشي إذ يحمل الأب طفله على ظهره تقوم الأم بينما تلف الأم ياه حول رقبة الأب فيقول الأب:

أنو فوقـي

الأب شو بدو

وينزل الأب طفله قائلاً طيح نقي.

أغاني الشتاء: يجتمع الأولاد عند نزول المطر ويضعون على رؤوسهم أكياس من الخيش القنب) لتقيهم من المطر ويقولون:

شتي يا دنيا شتي

ستي جابت صبي

حطته بالطنجرة

حطته بالبيـر

وهناك أغنية عند سقوط المطر يغنيها الأطفال وهم في حلقة دائرية:

شتي وزيدي

عمنا عبد الله

شتي وزيدي

سيدي بالمغاره

سيدي في البرية

وهناك تغنى بالأعياد:

بكرة العيد بنعيد

والسيد ما لو بكرة

بنذبح بقرة السيد

بنذبح بنته ها الشقرة

ومن الأغاني القديمة بدوية المصدر:

يا مراكب سايرة	ياطيور طــــايرة
وقولي جبينة راعية	سلمي ع أمي وأبي
وتقيل تحت الدالية	ترعى غنم ترعى سخول

وتدخل مثل هذه الأغاني في الحكايات (الخراريف)، ومن الأغاني التي يرددونها الأطفال عندما يتأرجحون:

هز التين يا وروار	بعده التين ما نور
ما نور إلا الزيتون	يازيتون احمل ليمون

ومن الألعاب التي ترافق الأغاني:

طاق طاق طاقية	رن رن يا جرس حول واركب عل فرس
---------------	-------------------------------

لعبة الدائرة مع القفز: تلجأ الفتيات إلى لعبة خفيفة تضم ثلاث بنات يضعن أيديهن فوق أكتاف بعض ويقفزن معاً قفزات متوازية ويغنين:

إحنا الثلاثة سوا	مثل عمود الهوا
وحدة كبيرة	وحدة صغيرة
وحدة طويلة	وحدة قصيرة
وحدة بترجع لورا	

ومن الألعاب الأخرى السائدة للذكور والإناث :

لعب البنات: لعبة الإكس (الحيز)، الزقطة (القال)، الغماية (الطميمة)، الخويمة (الخاتم والأصبع) نط الحبل لعبة الخمسات.

لعب الذكور: كسر البيض - البنانير (الدحل) لعبة الكورة - لعبة المنه لعبة الغزة توضع عصاة متين في ثقب حجر ويتبادل الأولاد بضربها كل بعصاه والذي يكسرها بعصاه يكون الفائز - لعبة كرة القدم وسباق الركض والسحاسيل.

الصيد: كان الكثير من الأولاد يريدون الصيد حتى كان منهم يبتكرون أدوات جديدة لصيد العصافير مثل: النقيفة أو بالفخ -بالدبق بالشبك- بالفخاخ- وجمع الفراخ من أعشاشها)، وكان البعض يستخدم ماسورة مركبة على أخمص من الخشب مثل البندقية ويطلق السهم بواسطة نابض أو شريحة مطاط.



المراجع

- (1): فيكتور سحاب، "الموسوعة الفلسطينية خاص-المجلد 4"، هيئة الموسوعة الفلسطينية: رام الله، 1984.
- (2): حسن عليوه، "الموسوعة الفلسطينية خاص-المجلد 2"، هيئة الموسوعة الفلسطينية: رام الله، 1984.
- (3): نمر سرحان، الفولكلور الفلسطيني الجزء 2.
- (4): الموسوعة الحرة ويكيبيديا

الفصل السابع

مجازر الصهيونية في شعب فلسطين

قامت الصهيونية العالمية منذ أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بصياغة منهاجها الاستعماري المطابق للاستعمار الأوروبي ويزيد عليه بالاستعمار الاستيطاني القائم على تفرغ فلسطين من سكانها العرب وإحلال يهود العالم محلهم والتقت دعوتهم مع مع رائدة الاستعمار العالمي بريطانيا. وقد وجدت بريطانيا مصلحتها بزرع شعب غريب في قلب فلسطين لمنع الجناح العربي في أفريقيا عن الجناح العربي الآسيوي وتمزيق وحدة العرب بكيانات هزيلة ضعيفة تظل تابعة للاستعمار بكل أشكاله. تلاقت مصالح بريطانيا مع رغبات الصهاينة فأصدرت الحكومة البريطانية وعدا المشؤوم وهو وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا بتاريخ 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1917 الذي ينص منح الصهاينة وطن قومي لهم في فلسطين بشرط عدم المساس بمصالح سكانها العرب وكانت فلسطين آنذاك تحت الحكم العثماني. وقد بات هذا الوعد مقدسا لدى السلطة البريطانية وعملت كل المستحيلات في تنفيذه رغم كل الاحتجاجات السلمية من شعب فلسطين العربي من مظاهرات وعنف كانت تجابهه بقسوة ظالمة وقد حكمت بريطانيا فلسطين منذ عام 1918 حتى عام 1948 أي ثلاثة عقود أنجزت فيها تأمين الوعد بكل مقوماته في تأمين المؤسسات والأبنية والمرافئ البحرية مثل ميناء حيفا ومصفاة البترول، والموانئ الجوية المدنية مثل مطاري اللد وقلندية وشبكات مواصلات برية بطول البلاد وعرضها كما خلفت بريطانيا ما أقامته من معسكرات وسجون ومراكز الأمن ومؤسسات كاملة للخدمات (دوائر تعليم، زراعة، صناعة، محاكم... الخ) إلى جاب الهجرة الصهيونية التي تم في عهد انتدابها إذ كان عدد اليهود بفلسطين وقت انتدابها 56000 فرداً وأصبح عددهم بعد انسحابها 650000 نسمة.

كل هذا تسلمته العصابات الصهيونية من بريطانيا عند انسحابها من فلسطين وتركت للعصابات الصهيونية السيطرة على باقي فلسطين ولم تترك لأهالي البلد من مؤشر حضاري سوى البيوت المهدمة لمعارضين لسياساتها وتعد بآلاف والسجون والمعتقلات والتشريد وإليك ما قامت به العصابات الصهيونية من مجازر لعرب فلسطين.

(1) مذبحه قريتي بلد الشيخ وحواصة بتاريخ 31-12-1947: أمام باب مصفاة بترول حيفا، ألقى الصهاينة وهم في داخل حافلة مصفحة قنبلة قتلت عدداً من العمال العرب كانوا مجتمعين بفسحة الباب ووصل الخبر إلى العمال في الداخل ثار العمال العرب وأكثرهم من قريتي حواصة وبلد الشيخ

هاجموا العمال اليهود الموجودين بالمصفاة بالمعاول والفؤوس وقضبان الحديد وقتلوا وجرحوا نحو ستين منهم عندها قامت المنظمات الصهيونية بمهاجمة المساكن المتطرفة في القريتين الآمنتين ليلاً فرموها بالقنابل اليدوي وأمطروها برشاشاتهم لمدة ساعة وخلفوا وراء هذا الهجوم المفاجئ 30 شهيداً وجريحاً وأحرقوا عشرة بيوت .

(2) **مذبحة قرية سعسع قضاء صفد** في 14-2-1948: شنت عصابة البالماخ الصهيونية هجوماً على قرية سعسع دمرت فيها 20 منزلاً فوق أصحابها وأسفر الهجوم عن 60 نسمة معظمهم من النساء والأطفال وقدمتها العدو بهذه الجريمة واعتبرها مثالية يعتز بها.

(3) **مذبحة رحوفوت قرب الرملة** بتاريخ 27-2-1948: حدثت في حيفا قرب مستوطنة رحبوت، حيث نسف الصهاينة قطار القنطرة للركاب الأمر الذي أسفر عن استشهاد 27 عربياً وجرح ستة وثلاثين آخرين.

(4) **مذبحة الحسينية** في 13-3-1948: قامت عصابة الهاجاناه بالهجوم على القرية وعملت على تدميرها وأسفرت المذبحة عن استشهاد ثلاثين عربياً.

(5) **مذبحة بنيا ميناه** في 27-5-1948: لقد حدث في هذا الموقع مذبحتان حيث نسف قطاران أولهما تم في 27-5-1948 وأسفر عن استشهاد 24 فلسطينياً وجرح أكثر من 61 آخرين وتمت العملية الثانية في 31-5-1948 حيث استشهد أكثر من 40 عربياً وجرح 60 آخرون.

(6) **مذبحة دير ياسين** في 9-4-1948: مجزرة ارتكبتها منظمتان صهيونيتان إرهابيتان هما الأرغون والتي يرأسها مناجيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد والمحكوم عليه من قبل حكومة الانتداب البريطانية بعشرين عاماً وتم الهجوم باتفاق كسبق مع منظمة الهاجاناه وراح ضحيتها زهاء 260 فلسطينياً من أهالي القرية معظمهم مدنيين عزل، وكانت هذه المذبحة وغيرها من أعمال الإرهاب والتككيل المحرمة دولياً وهي إحدى وسائل البطش التي تبنتها العصابات الصهيونية لإفراغ الأرض من أصحابها والسيطرة على فلسطين العربية وكل هذا تحت أنظار سلطة الانتداب وحرب جنودها المسلحة على عرب فلسطين.

(7) **مذبحة الطنطورة** في 22-5-1948: هاجمت كتيبة 23 التابعة للواء الاكسندروني ليلاً قرية الطنطورة واحتلتها بعد ساعات وانهمك الجنود الصهاينة بملاحقة ومطاردة البالغين من الذكور وقتل من يقابلوه بعد أن قسموا بعضهم إلى فرق توزعوا في القرية. وقد جمعوا جثث القتلى وعددهم التسعين شهيداً من خيرة شبان القرية وطمروهم في حفرة، ولم يكشف الخبر عنهم إلا قيام طالب جامعي

يهودي بتقديم رسالته والتي خصها في المذبحة وأخذ مصادره من أفواه من قابلهم من ذوي الشهداء وضباط الجيش الإسرائيلي وملفات العسكر.

(8) **مذبحة قرية الدوايمة في 29-10-1948:** هاجمت الكتيبة التابعة لمنظمة ليحي الصهيونية بقيادة موشي ديان قرية الدوايمة في منتصف الليل وحاصرت المصفحات البلدة من كل أطرافها ما عدا الجانب الشرقي للسماح لأهلها بالهرب، وقام أفراد المنظمة بتفتيش المنازل وقتلوا كل من صادفهم من السكان ونسفوا بيت المختار، وقد لجأ بعض المسنين إلى مسجد القرية واحتموا فيه وقتل منهم 75 رجلاً كما لجأت 36 عائلة إلى مغارة البلدة، وفي اليوم الثاني وصلت قوات الإرهاب جميعاً بالقنابل والرشاشات، وقد حاول البعض من أهل القرية التسلل إلى بيوتهم لجلب الطعام والشراب والنياب وقد جرى اقتناصهم وقتلهم كما نسفوا عدة بيوت بمن فيها. ثم جمع الصهاينة الجثث وألقوها في بئر القرية لإخفاء بشاعة المجزرة والتي لم يكشف عنها إلا عندما نشرت صحيفة حداثوت الإسرائيلية تحقيقاً عنها، وقد أقام الصهاينة مستعمرة " أماتريا " على أرض القرية المنكوبة.

(9) **مذبحة يازور قرب يافا في كانون أول عام 1948:** تقع القرية على مفترق طرق تعرضت القوافل الصهيونية إلى عنف المقاومة العربية كانت آخرها أن اصطدمت سيارة حراسة يهودية بلغم أردى بحياة ركابها وكانوا سبعة، فوجه ضابط عمليات منظمة الهاجاناه بيجال يادين أمراً إلى قائد البالماخ بيجان ألون بالقيام بعملية عسكرية ضد القرية تتضمن نسف وإحراق منازل وقتل سكانها. قامت العصابات الصهيونية الإرهابية في 22 كانون الثاني/يناير 1949 أي بعد 30 يوماً من حادث الحراسة وتولى إسحق رابين عمليات الملباخ فهاجم القرية فجر ذلك اليوم فنسفت قواته العديد من المنازل ومباني منها مصنع الثلج وأسفر هذا الاعتداء عن مقتل 15 فلسطينياً من سكان القرية وهم نيام، وتعود أهمية هذه المذبحة إلى أن الشخصيات المعتدلة بين أعضاء النخبة الحاكمة في إسرائيل اشتركوا في هذه المذبحة كما أن توقيت الجريمة جاء بعد إعلان قيام الدولة ولم تنتشر تفاصيل الجريمة إلا عام 1981.

(10) **مذبحة شرفات في 7-2-1951:** في الثالثة من صبيحة يوم 7-2-1951 وصلت سيارات قادمة من القدس وعلى ثلاثة كيلو مترت ونصف عن خط سكة الحديد جنوب غرب المدينة وتوقفت حيث ترجل منها نحو ثلاثين مسلحاً صهيونياً واجتازوا خط الهدنة وتسلقوا المرتفع باتجاه القرية المطلّة على القدس، فقطعوا الأسلاك الشائكة واحاطوا ببيت المختار ووضعوا عبوات ناسفة في جدرانها ونسفوها بمن فيها وانسحبوا تحت حماية نيران زملائهم والتي أصابت أهل القرية وأسفرت المذبحة عن سقوط عشرة من القتلى وثلاث نساء وخمسة أطفال وثمانية جرحى كلهم من النساء والأطفال.

11) مذبحة بيت لحم في 26-1-1952: وفي ليلة عيد ميلاد السيد المسيح الطوائف الشرقية قامت دورية صهيونية بنسف منزل قريب من بلدة بيت جالا على بعد 2 كم من بيت لحم وأطلقت النار على منزل آخر بالقنابل اليدوية فقتل صاحب المنزل وزوجته، وطفلان وجرح طفلان آخران من العائلة.

12) مذبحة قرية قلعة في 29-1-1953: هاجمت سرية معززة تتألف من 120-130 جندياً صهيونياً قرية قلعة العربية الواقعة في الضفة الغربية حيث دكت القرية بمدافع الهاون فهدمت بعض بيوتها وخلفت تسعة شهداء مدنيين الى جانب عشرين جريحاً.

13) مذبحة قلقيلية في 28-8-1953: حرص أهل قلقيلية على جمع المال وشراء لأسلحة للدفاع عن أنفسهم لما لمسوه من جرائم العصابات الصهيونية في إبادة شعب فلسطين. واستمرت المناوشات بين الطرفين، ولم يكتف الصهاينة غضبهم وفشلهم في كسر شوكة أهل القرية حتى أن موسى ديان صرح بقوله "سأحرث قلقيلية حرثاً" وذلك أثر فشل عدة محاولات لاحتلالها وبشكل خاص في اشتباك يونيو 1953. وفي التاسعة من مساء العاشر من تشرين أول عام 1953 تسالت الى قلقيلية مفرزة الجيش الصهيوني تقدر بكتيبة مشاة وكتيبة مدرعات تساندها مدفعية ميدان ونحو عشر طائرات مقاتلة، فقطعت الأسلاك الشائكة وأسلاك الهاتف وزرعت بعض الألغام في الطرق في الوقت الذي احتشدت فيه قوة كبيرة من المستوطنات القريبة، وقد تحركت في الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه وهاجمت قلقيلية من ثلاثة جهات مع التركيز على مركز الشرطة، لكن الحرس الوطني أفضل الهجوم وتراجع العدو بمدرعاته، وبعد ساعة عاود العدو الهجوم بكتيبة مشاة تحت حماية المدرعات واحبطت العملية على يد النجيدات القادمة من أهل القرية وما جاورها وتراجع العدو ثانية وقد تكبد خسائر واضحة.

تأكد سكان القرية أن هدف العدو هو مركز الشرطة فزادوا قواتهم حوله وحشدوا أعداداً كبيرة حوله وقد استغل العدو هذه الظاهرة فحشدوا التجمعات بالمدفعية الميدانية وقذفت الطائرات رشاشاتها وقنابلها وتقدمت آليات العدو الى مركز الشرطة واحتلوه ثم تابع العدو تقدمه وهو يطلق النار من رشاشاته على البيوت وقتل كل من يصادفهم في الطريق وكان حصيلة المذبحة الغير متكافئة قرابة سبعين شهيدا من سكان القرية وما حولها الى جانب الخسائر المادية التي لحقت ببيت أهل البلدة وما أكثرها. لقد تحركت وحدة من الجيش الأردني والقريبة من القرية واصطدمت بألغام العدو التي زرعها في الطريق فتكبد بعض الخسائر وقام بعدها بقصف تجمعات العدو بالمدفعية الميدانية وكبدهم بعض الخسائر.

14) **مذبحة قيبية** في 15-1-1953: في كتاب صدر في تل أبيب عام 1969 باللغة العبرية يرصد مؤلفه (يوري فلنشتين) العمليات التي قامت بها الفرقة 101 الشهيرة والمتخصصة بتدمير القرى العربية والتي يرأسها "آريل شارون" ونائبه شالوم والذي يحكى عنه في إسرائيل أنه أجهز على الجرحى في مستشفى شرم الشيخ العسكري عام 1956 وقد قامت هذه الوحدة بسلسلة من العمليات الإرهابية خلال عام 1953 بلغت ذروتها في مذبحة "قبيبة" القرية الوديعية الواقعة في الضفة الغربية، وقد تذرعت السلطة الصهيونية في بداية الأمر بأن الهجوم جاء إنتقامي لمقتل امرأة يهودية مع طفلها كما مارست الخداع بادعائها أن مرتكبي الحادث هم من المستوطنين وليسوا قوات نظامية إلا أن مجلس الأمن الذي أيدته اعترافات بعض القيادات الصهيونية بأن الهجوم على المرأة وطفلها خطط له منذ زمن بعيد لذلك لا بد من الانتقام وأسفرت مذبحة قيبية عن سقوط 19 قتيلاً من المدنيين العزل ونسف 41 بيتاً ومسجد وخزان مياه القرية، وقد أبيت أسر بكاملها مثل عائلة عبد المنعم قاووس المؤلفة من 12 فرداً.

وتعد مجزرة قيبية علامة بارزة في انتهاك دولة الصهاينة للقانون والأعراف الدولية فضلاً عن حقوق الإنسان ونموذجاً سافراً لسياستها الإرهابية والأمم المتحدة المغلوب على أمرها لا يصدر عنها سوى الاستكارات الخجولة وبصاق تافه سرعان ما تلحسه قبل أن يجف.

15) **مذبحة دير أيوب** في 29-5-1954: في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم خرجت من القرية ثلاث بنات لجمع الحطب تراوحت أعمارهن بين الثامنة والثاني عشرة، وعند وصولهم إلى نقطة قريبة من القرية وعلى بعد 400 متر من خط الهدنة فاجأهم بعض الجنود الصهاينة وهربت طفلة فأطلقوا عليها النار وأصابوها في فخذاها وتحملت الطفلة وتابعت الركض حتى وصلت بيت أهلها وأخبرتهم بما جرى.

أسرع أهل الطفلتين الى المكان المذكور، وشاهدوا نحو إثني عشر جنديا يسوقون أمامهم الطفلتين باتجاه بطن الوادي في الجنوب حيث أوقفوهما وأطلقوا عليهما النار واختفوا وراء خط الهدنة وقد توفيت إحدى الطفلتين مباشرة وفي اليوم توفيت الأخرى بالمستشفى الذي نقلت اليه.

16) **مذبحة نحالين** في 29-5-1954: قامت قوة من الجيش الإسرائيلي مؤلفة من 300 من اجتياز خط الهدنة وتوغلت في أراضي الضفة الغربية مسافة أربعة كيلومترات حتى وصلت إلى قرية نحالين بالقرب من بيت لحم حيث ألقت كمية من القنابل على تجمعات من سكان القرية وبشت الألغام في بيوت القرية ومسجدها وأسفرت المجزرة عن استشهاد أحد عشر من سكان القرية وجرح أربعة آخرين.

(17) **مذبحة كفر قاسم** في 1956/10/29: وعشية العدوان الثلاثي على مصر تولت قوة من الجيش الإسرائيلي تنفيذ حظر التجول على المنطقة التي تقع عليها بلدة كفر قاسم في منطقة المثلث على الحدود مع الأردن بالضفة الغربية، وقد تلقى قائد القوة ويدعى الرائد شموئيل ملنيكي الأوامر بتقديم موعد حظر التجول في المنطقة الى الساعة الخامسة مساءً وهو الأمر الذي يستحيل تنفيذه خاصة أولئك الذين يعملون خارجها وهو ما نبه اليه مختار القرية حينها الى قائد القوة الإسرائيلية، كما تلقى شموئيل ملنيكي توجيهات واضحة من العقيد (شدمي) "بقتل العائدين إلى القرية بقوله: (الأفضل أن يكون هناك قتل لا نريد اعتقالات، دعنا من العواطف) وكان أول الضحايا أربعة عمال رحبوا الجنود بكلمة شالوم فردوا عليهم التحية بحصد ثلاثة منهم بينما نجا الرابع ظناً منهم بأنه خر أرضاً مع الآخرين ولقي مصرعه، كما قتلت مجموعة منهم 2 امرأة كن عائدات من جمع الزيتون وذلك بعد أن استشار الملازم جبرائيل دهان القيادة باللاسلكي، وعلى ساعة ونصف الساعة سقط 49 شهيداً و13 جريحاً هم ضحايا المذبحة وقد لوحظ بأن جنود الاحتلال شلحوا الضحايا نقودهم وخواتم أيديهم وساعاتهم اليدوية.

ظلت السلطات الإسرائيلية ملتزمة الصمت عن المجزرة أسبوعين إلى أن اضطرت لإصدار بيان من مكتب رئيس الدولة عقب تسرب أنباء إلى الصحف ووسائل الإعلام، وتغطية على الجريمة أجريت محاكمة ثلاثة عشر منهما على رأسهم العقيد شدمي وأسفرت المحاكمة عن تبرئة شدمي حيث شهد لصالحه موثي حاييم بينما عوقب ملنيكي بالسجن 17 عاماً وعوقب دهان وشالوم عوفر بالسجن 15 عاماً في حين حكم على خمسة آخرين بأحكام تصل إلى سبع سنوات وحظي الباقي بالبراءة.

وإذا كانت محاكمة المتهمين الصهاينة بدأت بعد عامين من المذبحة فإنه قبل عام 1960 كانوا جميعاً خارج السجون أحراراً حيث أصدر إسحق تسفي رئيس دولة إسرائيل عفواً عنهم، بعدها سارع الملازم دهان بالرحيل إلى باريس معلناً سخطه على التمييز التي تمارسه السلطات بين السفارديم وهم اليهود الشرقيين.

المراجع

- فلسطين بالذاكرة
- كل المجازر الواردة، مصدرها (الذاكرة الفلسطينية إنترنت)

الفصل الثامن

ثقافة المقاومة

القصة والمسرحية في واقع الثقافة الفلسطينية في بلدة علما كتاب القصة من أبناء فلسطين وكثرت قصص قصيرة منها والطويلة التي يقر معاناة هذا الشعب والتحديات التي قابلته ولا زالت، وإني أقدم للقارئ نموذجاً منها للكاتب الشهيد.

المرحوم غسان كنفاني، فيما كتب⁽¹⁾: رحلت أسرة فلسطينية نزحت عام النكبة من يافا إلى عكا إلى لبنان عبر رأس الناقورة، وعند رأس الناقورة تشتري النسوة سلة برتقال وهن بعيدات على أرض البرتقال اليافاوي ثم تكمل الأسرة الطريق فيقول: "وعندما وصلنا صيدا وصرنا لاجئين، يبيع رب الأسرة حلي زوجته ويستأجر سكناً متواضعاً تأوي الأسرة إليه وينتظر (يوم 15 أيار) آملاً أن تحرر الجيوش العربية فلسطين، كما أكدت ووعدت ولكن اليوم يمر وتترسخ الهزيمة ويطول النزوح ويأس رب الأسرة وتطول معاناته ويكاد يقتل نفسه وإلى جانبه برتقالة جافة يابسة، إن صوت الراوي في قصة أرض البرتقال الحزين مفتاح أساسي للإنجاز الحقيقي لهذا العمل فالراوي وهو الأخ الأكبر في الأسرة يتوجه بالسرد إلى أخيه الأصغر أحياناً وإلى أخوته كلهم في أحيان أخرى كي يكتسبوا من القصة المعرفة بالوعي.

وفي مجموعة غسان كنفاني عالم ليس منا 1965 تغطي موضوعة المنفى بشكل بارز، فقصة "جدران من الحديد" صورة شعر به لطائر ينتفض في قفصه دون انقطاع إلى أن يحتضر في سجن ولكن النهاية غامضة هل يموت الطائر لأنه استنفذ قواه، أم هل يموت لأنه توقف عن الانتفاض. ومن قصصه مجموعة عن الرجال والبنادق اتصال بين الحاضر الماضي وتتمثل في العلاقة بين الآباء والأبناء فمفتاح المنزل القديم في الوطن السليب يشبه الفأس وفي المنفى يكشف (الصغير) هويته ويتحسس جذوره واكتشاف الهوية معادل لحمل السلاح وهذه هي مواضيع عن الرجال والبنادق والمخيم والمعاناة والشعور والوعي بالمواجهة عبر الكفاح المسلح.

وفي عام 1968 أصدر غسان كنفاني في بيروت مجموعته القصصية الرابعة عن الرجال والبنادق، والمدخل إلى المجموعة قصة تعود بنا إلى عام 1949 وحياة البؤس في المخيم الفلسطيني، وتنقسم هذه المجموعة إلى قسمين: القسم الأول في أربع قصص قصيرة تشكل رواية غير طويلة. القسم الثاني أربع قصص قصيرة أخرى تقدم كل منها معادلة فنية لنضال الفلسطيني ضد الجوع من أجل البقاء

ونضاله المسلح ضد الغزاة. ويرقم الكاتب القصص من 1-9 معتبراً إياها أجزاءً متتابعة من عمل واحد، يقدم صورة نضالية للشعب الفلسطيني منذ ثورة المقاومة المسلحة التي انطلقت مرة ثانية في منتصف الستينات منذ القرن العشرين.

وقد ظهرت في الناصرة مجموعة توفيق فياض (الشارع الأصفر) تعبر عن هموم الفلسطيني اليومية والنفسية والحياتية بأسلوب مشحون بالعاطفة وتجاوز هذه المجموعة طابع السرد لتصل إلى نوع جديد من التركيب الحديث مع تضمين القصة عدة أبعاد واقعية ورمزية وتمتزج بين الوطن والتراث، فنكسب مضمونه الكفاحي والرمزي دون أن يهمل القضايا الاجتماعية اليومية أو ترتبط قصص المجموعة بالصراع السياسي-الاجتماعي داخل فلسطين المحتلة ولا تغيب عنه الروح التفاؤلية.

التمثيل والمسرح

بدأت الحركة المسرحية في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر واشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى، وقد نشطت الحركة في المدارس إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أثر في نهاية كل عام دراسي.

وأول ما بدأت الحركة المسرحية في مدارس الإرساليات وغايتها نقل أدبها وثقافتها إلى فلسطين مثل مسرحيات مولير وكورني وشكسبير بينما كانت المسرحيات في المدارس العربية تتجه لإبراز تاريخ أمنهم فقد ظهرت مسرحيات جابر عثرات الكرام وجريح بيروت وعنترة العبسي وصلاح الدين الأيوبي ومملكة أورشليم وطارق بن زياد وفتح الأندلس وفي العقد الثاني من القرن العشرين برز اثنان من المثقفين الفلسطينيين بدور ملموس في نمو الحركة المسرحية ذات الطابع الوطني والقومي وهما خليل بيدس الذي أخرج بين عامي 1924-1928 في الناصرة مسرحية (السموأل) أو وفاء العرب لأنطوان الجميل.

أما الثاني فهو الشيخ محمد الصالح مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية. وقد مثلت مدرسته عدة مسرحيات، أهمها مسرحية عبد الكريم الخطابي التي تتدد بالاستعمار الإسباني في المغرب وذلك بين عامي 1911-1928.

وقد زارت الفرق المسرحية الثلاث المصرية (فرقة جورج أبيض وفرقة رمسيس وفرقة نجيب الريحاني) فعرضت مسرحياتها في القدس فألهبت الحماسة في قلوب شبان فلسطين وحرصهم على إنجاح مسرحياتهم وتطويرها فأقبلوا على التمثيل ولعل أهم الفرق المسرحية التي تأسست في الثلاثينات من القرن العشرين فرقة نصري الجوزي إذ كان يديره ويكتب لها ويمثل فيها.

تأسست في حيفا عدة جمعيات أدبية تمثيلية منها جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يترأسها أديب أجدع، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة اسكندر أيوب، وقد مثلت رؤية هملت لشكسبير وكانت من أقوى الفرق التمثيلية، تتابعت الفرق المسرحية تتوالى في المدن يافا وعكا والقدس. وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر للوجود عدد من الجمعيات الأدبية والفنية.

ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في 1936/4/1 وأدار القسم العربي منها الشاعر إبراهيم طوقان راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة وشجع التأليف بالاعتماد على التراث العربي رغم مضايقة سلطة الانتداب والصهاينة له وتحدى الجميع وشجع فرقة (الحوزي).

أول فرقة إذاعية على المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية وأشهر الفرق هي فرقة موسى سالم سلامة وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة سكري السعيد وحسين عفيفي. من أوائل الذين ساهموا بالتأليف المسرحي محمد عزة دروزة صاحب رواية وفود النعمان على كسرى أنو شروان التي طبعت في بيروت عام 1918 ثم تحولت إلى مسرحية مثلها طلاب من مدرسة النجاح في نابلس، من رواد كتابة المسرحية نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل إذ كتب مسرحية "شمم العرب" سنة 1914، ومسرحية أخرى وفاء السمائل عرب" سنة 1929.

إن أول من كتب للمسرح المدرسي نصري الجوزي عام 1935 وله مجموعتان "ذكاء القاضي" و"العدل أساس الملك" أو "لن أبيع أرضي" و"عيد الجلاء" و"فلسطين لن ننساك" وفي عام 1934 أمام المدرسان شقيق ترزي ووديع ترزي بتأليف لمسرحية "في سبيلك يا وطن" وقد لاقت رواجاً مرموقاً، الذين ساهموا في نشر التمثيل المسرحي الأرشمندريت استيفان جوزيف سالم وهو من مواليد الناصرة وكان يصلح اللغة العربية في بيت لحم والقدس وله عدة مسرحيات مدرسية "السجناء الأحرار- غرام الميت- قبلة المحبة - صراع بين العلم والإيمان.... إلخ".

ومن المؤلفين المسرحيين عزيز ضومط من أبناء حيفا، ومن مسرحياته التي كتبها بالألمانية "حسن" وترجمت للغة العربية ومثلت في القدس في الأربعينيات ثم "والي عكا" التي مثلت بنجاح على المسارح في ألمانيا، وقد ساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية، فقد قدم الشاعر برهان الدين العبوشي المولود في جنين المسرحيات الشعرية التالية.

"وطن الشهيد" عام 1947م "شيخ الأندلس" 1949م "حرب القادسية" 1951م "الفداء" 1968م. وأصدر الشاعر محي الدين الحاج عيسى المولود في صفد سنة 1897، مسرحية "مصرع كليب" 1947، "أسرة الشهيد" عن أحداث النكبة سنة 1966 وهو صيدلي وبقي في حلب.

وقد أسهمت المرأة الفلسطينية في نشاطات المسرحيات في الإذاعة والمسرح فكتبت الأدبية المعروفة أسمى طوبي عدداً من المسرحيات عام 1938، مثلت في جمعية الشبان المسيحية ومقهى النزهة وهي "نساء وأسرار" و "صبر وفرج"، "قيصر روسيا ومصرعه"، "أصل شجرة الميلاد".

غسان كنفاني من المسرحيات الباب، والبنّي، وجسر إلى الأبد وصدرت جميعها سنة 1978 بعد استشهاده.

تأسس مسرح الغربال في شفا عمرو وهو أكبرها، وهو مسرح قومي عربي وأحد أشهر الممثلين فيه هو سعيد سلامة الكوميدي المعروف وتميزت هذه الفرق المسرحية في القرى العربية الواقعة تحت الاحتلال في نحو نشاطاتها المتنوعة الأهداف، إلا أن سلطات الاحتلال كانت دائماً تلاحق وتراقب مثل هذه النشاطات، وقد تعرضت فرق المسرحية نوعين من الرقابة فرقة تعمل داخل الخط الأخضر وأخرى في خارج خط الجدار (الضفة الغربية) خاصة في المناطق الواقعة تحت مراقبة الحاكم العسكري الذي حاول القاء القبض على أعضاء الفرق المسرحية (وقد منعت مسرحيات كثيرة من قبل الحاكم العسكري وحسب مزاجه في تسلطه وحقده على أبناء المناطق المحتلة وتحدي إرادتهم).

ومن جملة المسرحيات التي منعت من العرض مسرحية "أنا راجع يما" لمسرح آذار ومسرحية "رجال في الشمس" (ومسرحية كان الموت ونحن على الميعاد) لمسرح أبناء شفا عمرو ومنعت الشرطة بشكل مباشر عرض مسرحيتين كان من المفروض أن يعرضها مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين المحتلة وهددت المشاركين في المسرحيتين بالاعتقال ومداومة القاعة أثناء عرض المسرحية وضربهم على خشبة المسرح، والمسرحيتان هما (ثمن الحرية) لمسرح عبلين ومسرحية (الناطور) لمسرح الشبيبة الشيوعية في طمرة كما منع عرض المشاهد المسرحية من أمسية يوم الطاحونة يوم أن أشرفت عليها المؤسسة الشعبية للفنون، واحتجزت الرقابة نص مسرحية (إجازة) لمسرح الغربال ستة أشهر ثم اضطرت إلى السماح بعرضه.

وإن فرقة الغربال في شفا عمرو تأسست عام 1967 وقد قدمت الكثير منها على سبيل المثال لا الحصر (رجال في الشمس - بنادق السيدة كرام - الملك هو الملك - والحضيض - الصوت الغجري)، ما أصدر مسرح الغربال كتاباً يتضمن النص الكامل لمسرحية (كفى) التي عرضها على خشبته، وبادرت فرقة - الغربال إلى إقامة مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين وقد عقد في شفا عمرو بتاريخ 6-7-8/1982، وشاركت فيه بعض الفرق المسرحية في الجليل.

وقد منعت السلطات الإسرائيلية عرض المسرحيتين في المهرجان هما (ثمن الحرية لفرقة الشبيبة الشيوعية في طمرة للكاتب سليم مخولي) وقامت الشرطة أيضاً باستدعاء مجموعة من المشرفين والمشاركين في المهرجان في محاولة لإرهابهم. وبعد انتهاء المسرح العربي الأول في فلسطين اتفقت الفرق المشاركة على إنشاء "رابطة المسرح العربي" وقد ظهرت في الأراضي المحتلة هيئات وطنية ترعى شؤون الفن والفنانين وتقدم لهم الدعم المادي والمعنوي فنشأت في عام 1982 المؤسسة الشعبية للفنون ومقرها (حيفا) ويديرها الشاعر سميح القاسم.

ومن الخطوات والنشاطات الملقاة على الفنانين الفلسطينيين العرب الدعاية في الخارج والتركيز على زيف الدعاية الصهيونية وذلك بإظهار الحقائق بالوثائق والحجة القانونية كشف زيف الدعاية الصهيونية بأن المقاومة (إرهاب) بإبراز ما قامت به إسرائيل ومنظمتها الإرهابية وتوضيح محاصرة غزة لزمن طويل ولا يزال على مرأى وسمع العالم كله.

وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن العشرين أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة التي قامت بمسرحيات قصيرة تعرض في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة.

وقد كانت أبرز العروض لها (يونس الأعرج) لـ ناظم حكمت وتجدر الإشارة الى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي، وقد رأى البعض منهم تضمين المسرحيات بعض الأناشيد والأغاني ذات الصلة تخدم الأهداف الوطنية العامة التي يريدون تحقيقها وأصبحت تلك الأناشيد مشهورة تطبع على أسطوانات تباع في الأسواق وتوزع على كل أنحاء فلسطين.

وقد لفت النظر إلى نشاط فرقة الفنون الشعبية (بلالين)، ومدى تطورها وما قدمته من رقصات شعبية وتجلت قدراتها في المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب/1973، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان قادمة من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة.

وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين، وفي 28/4/1975 شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي بلالين (وبلا-لين) ودبابيس وكشكول كان قد سبقت المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول/1973 واتيح لتجربة بلالين أفلام نقدية تؤرخ سيرتها مثل عطية أبو رميله وفوزي السكري وواصف ضاهر وإيليا الشوملي ونجوى قعوار فرح.

وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن الماضي أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، وتعتمد الفرقة على النصوص المحلية التي يكتبها عادة سامح العبوشي أو فرانسوا أبو سالم والمسرحيات التي لـ(بلالين) هي قطعة (حياة والعممة) و(نشرة أحوال الجو) و(الكنز) و(تع تخرفك يا صاحبي). ويرى محمود شقير أن أبرز القضايا والمضامين التي طرحتها هذه المسرحيات تلخص في النقاط التالية:

(1) انتقاد التخلف الاجتماعي وتسليط الضوء على نماذج اجتماعية رجعية ومتخلفة مثل (قطعة حياة) و(العممة)

(2) معالجة أوضاع المرأة في المجتمع الفلسطيني وضرورة منحها الفرصة في ممارسة مسؤولياتها في المجتمع (قطعة حياة والعممة).

(3) النقد الحاد للأفكار الغربية التي تسهم في إشاعة الروح الاتكالية بين الجماهير (نشرة أحوال الجو).

(4) إبراز أهمية الأرض وضرورة المحافظة عليها وعدم التفريط فيها ثم صيانتها من طمع الغرباء والغزاة (الكنز).

(5) تصوير الأوضاع القاسية التي تعيشها الجماهير في ظل الاحتلال وضرورة تجاوز هذه الأوضاع بتوحيد الجهود وتحمل المسؤولية في (العممة).

(6) إبراز الدور القيادي للطبقة العاملة في عملية بناء المجتمع وتطويره من حيث الطبقة الأكثر ثورية والمنتجة للخيرات المادية (الغنمة).

وفي تجربة بلالين جوانب مضيئة في تجربة المسرح الفلسطيني في الأرض المحتلة عام 1948 إذ قررت إنشاء جريدة المسرح أي أن يقوم عدد محدود من ممثلها تقديم عرض مسرحي لا يتجاوز خمس دقائق بإحدى المدرس أو على ناصية إحدى الشوارع بهدف تثقيف الجماهير مسرحياً، وقد أسست الفرقة أيضاً مجموعة أصدقاء (بلالين) التي تتكون من شبان وشابات يهتمون بالمسرح ويقومون بالدعاية لأعمال الفرقة، ويلصقون الإعلانات على الجدران ومناصريها، ولكي تغطي الفترات الواسعة بين عروض المسرحية، قدمت (بلالين) كثيراً من العروض الخفيفة التي أطلقت مجازاً اسم بستان (بلالين) وذلك أن

هذه الأعمال المسرحية القصيرة كانت تجري في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. وقد كان أبرز العروض (يونس الأعرج) لناظم حكمت.

وتجدر الإشارة إلى أن أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي رأى أعضاؤها ضرورة تضمين بعض الأناشيد والغنيات ذات الصلة الوثيقة بالأهداف الوطنية العامة التي يرمون إلى تحقيقها، فأصبحت تلك الأناشيد والأغنيات تنزل على أسطوانات يجري بيعها وتوزيعها في مختلف أنحاء فلسطين، وقد لفت النظر نشاط فرقة الفنون الشعبية التابعة و(بلالين) ومدى تطورها الفني من خلال المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب عام 1973 إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان آتية من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة، وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين.

أما الكاتب اللاحق إميل حبيبي ومسرحية المأساة في (لكع بن لكع) فقد أصدر الروائي حبيبي حكاية مسرحية لكع بن لكع راوياً سيرة الزواج الفلسطيني منذ عام 1948، في أواخر السبعينات مروراً بأحداث الأردن ولبنان ومعاودة كامب ديفيد في ثلاث فصول أو ثلاث جلسات أمام صندوق العجب وحكاية المسرحية لا تتقيد بقوانين الفن المسرحي وذلك أنها لا تقع على وحدة الزمان والمكان ولا نشعر بترباط الأحداث أو تناميها.

فكل فصل قائم بذاته وكل مشهد وحدة مستقلة ويصدر حبيبي مسرحية بحديث نبوي شريف يستخدمه عنوانها "لا تقوم الساعة حتى يتولى أمور الناس لكع بن لكع" واللكع هو النديم والعبد والأحمق ومن لا يتجه نحو المنطق ولا غيره.

كان الكاتب يشير إلى نهاية الحاكم المتسلط ودنو نصر الشعب، والإهداء إلى حنين وفرح (حتى يكون اللقاء بينهما فرحاً) فالأول الفلسطيني تحت الاحتلال والثاني هو الفلسطيني عبر الحدود، ويتعزز الإهداء بمقطع من قصيدة لتوفيق زياد تنصدر المشهد الأول من الجلسة الأولى أنا معكم أشد على أيديكم وأبوس الأرض تحت نعالكم /وأقول أفديكم/ فمأساتي التي أحيا نصيبي من مأسيتكم ترعهم وتخريب اقتصادهم وسلبهم كل ما يملكون من وجود وما داخروه عبر القرون.

كان الفلسطينيون من أوائل من بنى الاستوديوهات في البلاد العربية وقد اقتصرَت الدعاية في إعطائهم حقهم واليك عزيزي القارئ نبذة عن نشاط أسرة لاما من منطقة بيت لحم من نشاطات (تصوير أفلام وأستوديوهات وأفلام).

الفنانين والممثلين الفلسطينيين الأوائل:

قام السيد عبد الله إبراهيم الأعمى من بلدته بيت لحم مهاجراً إلى تشيلي في أمريكا الجنوبية وتزوج من فلسطينية مهاجرة اسمها (ليزا خليل بشارة) في عام 1850، وأنجبت له ثلاثة أبناء (عيسى، إبراهيم، بدر).

وقد تعلم إبراهيم وأخوه بدر فن التمثيل والكتابة والإخراج وقررا التوجه إلى حيفا بفلسطين ليؤسسا مركزاً للتمثيل هناك وسافراً بحر في باخرة قاصدين مصر أولاً، وعند اقترابهم من ساحل الإسكندرية تعرض بدر لوعكة صحية فنزلا إلى المدينة للعلاج، فاستأجرا بيتاً فيها وطاب لهما المقام وقررا العمل بالسينما المصرية فأسسا شركة "كوندور فيلم" عام 1927 في الإسكندرية لعمل أفلام سينمائية مصرية تصور في مصر.

وكان أول فيلم قدماه فيلم روائي مصري صامت في تاريخ السينما المصرية وهو (قبلة لأفلام والفنانين السينمائيين)، في مطلع القرن العشرين وتحديداً في العقد الثالث ظهر الأخوين بدر وإبراهيم لاما اللذان اتخذوا مهنة التمثيل والتصوير والإخراج السينمائي وذلك في تشيلي بأمريكا الجنوبية وعمداً إلى العودة للعمل في موطنهما فلسطين، وإليك عزيزي القارئ نبذة قصيرة عن جهودهما وما قدماه من ولادة التمثيل السينمائي:

بدر عبد الله إبراهيم الأعمى (لاما)

ولد بتشيلي في 1907/4/23، وهو ممثل سينمائي فلسطيني هاجر في بداية حياته إلى أمريكا الجنوبية ثم رجع مع أخيه إبراهيم إلى مصر بالباخرة ومعهم المعدات والكاميرات وكل ما توفر لهم من أجهزة للعمل في حيفا ولكن بسبب بدر توجهها إلى الإسكندرية للاستشفاء وهناك استقروا وكونا ثنائياً ناجحاً وعملاً معاً في الكتابة والتمثيل والإخراج، ثم أسسا سوياً شركة إنتاج سينمائي تدعى كوندور فيلم.

وعقب انتهائه من فيلم (البدوية الحسنة) في عام 1947 أصيب بدر لاما بذبحة صدرية توفي على أثرها في 1947/10/1. وقد أقام أهالي بيت لحم حفلة تأبين لإحياء ذكره. وبعد وفاة بدر:

اختار إبراهيم ابنه سمير عبد الله ليحل محل عمه بدر فشارك سمير بطولة فيلم (الحلقة المفقودة) مع الممثلة الشابة الصاعدة فاتن حمامة في عام 1948، والممثلة عفاف شاعر في فيلم (سكة السلامة) في عام 1949 والفنانة شادية في فيلم (عاصفة في الربيع) في عام 1951، والممثل بشارة واكيم في فيلم (كنز السعادة)، والممثلة ماجدة والممثل محمود المليجي في فيلم (القافلة تسير).

وفي غفلة من الزمن اندلعت النيران والتهمت جميع محتويات أستوديوهات لاما بما فيها من أشرطة أفلام وتوالت النكبات على العائلة ودب الخلاف بين ابراهيم وزوجته انتهى بموت ابراهيم في ليلة 12 مايو 1953، وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات انتهت بختمها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة أما جوزفين سركيس (بدرية رأفت) أرملة المرحوم بدر، فلم تقم إلا بدور بطولة واحد في فيلم (اللقاء الأخير) في عام 1953 مع عماد حمدي ومحسن سرحان وزهرة العلا، ثم اعتزلت السينما لتكرس حياتها لبناتها وأحفادها.

أما سمير عبد الله ابراهيم لاما وبالرغم من محاولاته المتكررة في العمل السينمائي بما فيه تجربته القصيرة في لبنان في الستينات من القرن العشرين كأفلام (وادي الموت) و(صقر قریش)، (القاهرون) إلا أن الحظ لم يحالفه فاعتزل العمل السينمائي.

أهم أفلامهم السينمائية :

- 1927 قبلة الصحراء
- 1928 فاجعة فوق الهرم
- 1931 معجزة الحب
- 1934 شبح الماضي
- 1935 معروف البدوي
- 1936 الهارب
- 1937 عز الطلب
- 1938 نفوس حائرة
- 1939 الكنز المفقود (قيس وليلى)
- 1940 رجل دين بين امرأتين
- 1941 صلاح الدين الأيوبي
- 1942 ابن الصحراء
- 1944 عريس الهنا
- 1945 البيه المزيف
- 1947 البدوية الحسنة



المراجع:

- (1): واصف أبو الشباب، "الموسوعة الفلسطينية - المجلد 4"، هيئة الموسوعة الفلسطينية: رام الله، 1984.
- (2): محمود شريح، "الموسوعة الفلسطينية - المجلد 4"، هيئة الموسوعة الفلسطينية: رام الله، 1984.
- (3): أسامة الخطيب، "الموسوعة الفلسطينية - المجلد 4"، هيئة الموسوعة الفلسطينية: رام الله، 1984.
- (4): الموسوعة الحرة ويكيبيديا

الفصل التاسع

سياسة الانتداب البريطاني في إقامة دولة "إسرائيل"

سياسة الانتداب البريطاني والصهيوني في شعب فلسطين منذ أن وطئت بريطانيا فلسطين و احتلتها عام 1948 عملت على تنفيذ وعد بلفور في إقامة وطن قومي لليهود بكل يلزم من تيسير الهجرة وسلخ أراضي وتشجيع المؤسسات من مدارس وجمعيات ونوادي وطرق ومواصلات ومرافق من موانئ بحرية ومطارات ومعسكرات وكبح لأصوات المعارضة من اعتقال وإعدامات لشعب فلسطين، وبقيت بريطانيا ثلاثين عاماً سنة 1938 وقد أمنت للصهيونية دولة قائمة على طبق من ذهب تاركة شعب فلسطين بأن تحت احتلال "إسرائيل" وزادت الإمبريالي الأمريكية من تقوية الصهيونية حتى باتت السلطات الصهيونية تهدد العرب والمسلمين في عقر ديارهم وساعدتهم في التماذي على حكام العرب أجمعين ومن الممارسات التي واجهها الفلسطينيون والعرب من بريطانيا و"إسرائيل".

في الزراعة

أرض فلسطين في خصبة تربتها ومناخها المعتدل من حرارة ومطر وأودية دائمة وسيلية وينابيع دائمة وخبرة قديمة متطورة كلها جعلت فلسطين غنية بزراعتها والكل يعلم بهذه الشهرة والغنى من قديم الزمان ذلك كانت محط أنظار الطامعين من جوار وأغراب مرت بها القوافل العالمية وداستها الجيوش الغازية وتقلبت فيها السلطات والعروش طرحت بأسواقه بضائع الأمم والشعوب من توابل هندية وكتان وقطن وسكر مصري وبن يمني ونسيج دمشقي وصباغة فنيقية وزجاج فخار نحاس كنعاني حديد فلسطيني سيوف شامية بأشكالها وأنواعها ونماذج ومجسمات منحوتة في الخشب والحجر والرخام والعظم إلى جانب القنب والأرز والحبوب والبقول بأنواعها.

كانت التجارة نشيطة بين الأقاليم والقوافل تسعى بين أقطارها السفن تمخر البحار محملة بكل البضائع الخيرة والمؤن تعين المغيث وتسد أفواه الجائعين وتطفي السعادة على جه المحرومين تبعث الأمل في قلوب القانتين ولا زالت الفنون وقوالبها تتمتع بها منطقة القدس ورام الله وبيت لحم من حفر على خشب الزيتون لصنع نماذج متعددة وأشكال متنوعة من ترصيع الخزف بالخشب، وما تنتجه الإناث في رام الله ومحيطها من أشغال غاية في الجمال من حياكة وشغل الإبرة في تطريز الثياب والتي نالت إعجاب نساء الغرب قبل إناث العرب وخلقت أسواقاً رائجة للفنانين وما أكثرهم تعوض ما سلبه العدو من أهل فلسطين وباتت هذه الصناعة وصدر رزق لأكثر المواطنين تحت الاحتلال هذا كان وضع أطماع

الغزة الطامعين ومما زاد مقامها العالمي ظهور الأديان السماوية فيها بركنها المقدس مدينة القدس الشريف، مدينة السلام والمحبة والإخاء المؤمنة برب العالمين رب السماوات والأرض أجمعين لخلق الناس التي لا تعرف التعصب والتمييز الكراهية التي لا تقوم على الغدر مثل الدولة المنتدبة عملت خلال الثلاثين عاماً في حكمها لفلسطين على تحقيق هدفها مقاومة كل المعارضة لهذا الهدف من قتل إعدامات سجون نفي لكل النشاط من أبناء فلسطين بينما ساعدت الهجرة الصهيونية شجعتها ودعمتها قدمت للصهاينة وعصاباتهم الدعم العسكري والحماية والتدريب المستمر أمام التجارة وإغراق الأسواق بالحبوب بأسعار منافسة لأسعار الحبوب المحلية مما أساء للتجار العرب كذلك للبقول حتى الزيت صار لها منافس في أسواق فلسطين الهدف هو إفقار الناس، هذا ما عبر عنه حاكم حيفا جورج ستيوارت في رسالته تقريراً عن انكماش الظروف الاقتصادية وتدهورها مما له من أثر في موجة الاستياء التي تعم سكان العرب في فلسطين إلى حد تجاوب معه القرويين مع حملات التحريضية المضادة للحكومة يتابع هذا الحاكم في رسالته يقول "فالأعمال في عكا وشفا عمر متوقفة في حيفا تكاد تكمن جميع أنواع العمل التي تعد بالربح على العرب متدهورة، كما أنه من الواضح أن الحواجز الجمركية في سرية أخذت تقتل الترانزيت فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع المفرق يتوقف عن العمل، بل أن الحمالين وغيرهم يمارسون أعمالاً مؤقتة، قد أخذ بعضهم يتأثر بسبب الأفضلية التي منحت للمؤسسات اليهودية أصحاب العمل اليهود يتعاملون إلا للمهاجرين من اليهود الجدد من العمال، إن سكان المدن يعانون من ارتفاع تكاليف المعيشة والدخل شبه معدوم.

أما الطبقات الاجتماعية الأعلى نسبياً كالتجار (الأفندية) فإنهم كادوا يصلون لحالة اليأس، إذ يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بمداخلهم بواسطة أية أعمال أخرى إن بعضهم يواجه الإفلاس، ليست حالة صاحب الأرض الكبير خيراً من ذلك بكثير فهو مثقل بالدين ليس في وسعه الحصول على مزيد من القروض فأسعار الحبوب منخفضة، كما أن الأسواق الخارجية مغلقة عملياً في وجهه أنه ليجد من الصعوبة عليه أن يبيع ما يضطر إلى بيعه من الأراضي بسعر معقول، يرى ساكن المدينة أن ما يعانيه لن يخفف عنه في ظل حالات العجز والبؤس، إنما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية وما يترتب عنه من الهجرة اليهودية.

أما البدو فإن عليهم إما أن يتحولوا إلى فلاحين أو يهاجروا خارج فلسطين، فشردتهم واستولت على أملاكهم من عقارات أثاث أراضي بمراسيم سلطة غاشمة استغلت مناصرة الاستعمار أمريكا في

الأوساط الدولية، من عمليات طرد عرب فلسطين من قراهم في 1951/2/1 طرد إلى خارج فلسطين سكان 12 قرية فلسطينية تقع في وادي عارة في منطقة المثلث، طرد سكان أم الفحم ثم نسفت بيوتهم. اتبع الصهاينة سياسة الطرد الانتقائي الذي يقوم على اختيار لبضع عشرات من الرجال النشيطين من كل قرية و طردهم خارج الحدود لتلحق بهم عائلاتهم وقد طردت كذلك قبائل بأكملها مثل البقارة التي أجبرت على مغادرة بلديتها بالقوة العسكرية إلى الحدود السورية وانتظم شبانها ورجالها البواسل في كل الانتفاضات والثورات التي حدثت من ثورات الأعوام: 1929 و 1936 و 1948، وكم عانت البلدة من حكم جيش الانتداب البريطاني وممارساته القمعية في تفتيش البيوت بحجة العثور على سلاح فيخلط الجنود مؤن المواطنين مع بعض ويخربون ويسرقون ما طاب لهم وذلك بغياب أصحاب البيوت من أهلها الذين أخرجوهم من مساكنهم ليجمعوهم في أماكن خاصة ويحظروا التجوال في القرية.

كانوا يجمعون النساء والأطفال في باحة مكشوفة أو في أحد البيوت التي تحوي باحة، أما الرجال فيجمعون في مركز آخر ويجري استجوابهم من قبل الجنود تحت التهديد والضرب المبرح وإذا تأكدوا أن صاحب البيت له صلة بالثوار يهدمون بيته بالمتفجرات وكم هدمت بيوت في كثير من قرى فلسطين ومنهم قرية الفريديس، ومن ظلم سلطات الاحتلال انحيازها للمهاجرين الغرباء اليهود ومنحهم كل عوامل القوة مثل: منحهم الأراضي الفلسطينية الخصبة من أملاك الدولة العثمانية، وتنفيذ أوامر المحاكم التي أوصت بإخلاء الفلاحين من أراضي اشتراها الصهاينة عن طريق وكلاء من مغتربين ليسوا من فلسطين كانوا استلموها من الدولة العثمانية مثل سهل مرج ابن عامر ووادي الحوارث ومنطقة الحولة.

1- إغراق الأسواق الفلسطينية بالمنتجات الزراعية من حبوب وبقول وعرضها لتضارب الإنتاج الزراعي الفلسطيني وتقضي على حياة الفلاحين.

2- وضع الضرائب على البيوت والبضائع والأراضي وتحذر من ترك الأرض بدون استغلال وإلا تسحب الأرض من صاحبها إذا تركها أكثر من سنتين بدون زراعة.

3- السماح للمهاجرين اليهود بالدخول وتشجيع الاستيطان وتنسق مع المنظمات الصهيونية لتنفيذ وعد بلفور الاستعماري رغم وعودها للعرب بالحد من الهجرة عبر الكتاب الأبيض الأول والثاني.

4- عدم التزامها بقرار التقسيم ومحاولة ردع رجال الهاجاناة من احتلال المدن وبعض القرى وجيش بريطانيا لايزال على أرض فلسطين أي قبل إعلان انسحابه المقرر في 1948/5/15 مثل حيفا ويافا وصفد والعديد من القرى قضاء يافا.

5- تأسس بريطانيا جيشاً لإسرائيل القادمة بإشراك الهاجاناة من جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية وكان نواة الجيش الإسرائيلي، بينما كانت المشانق في عكا تعقد كل ثلاثاء من كل أسبوع لتقدم شهيداً على الأقل أسبوعاً ولم نشاهد خلال هذه فترة الاعدامات أي مشنوق يهودي علماً أن كثيراً منهم كانوا معتقلين في سجن عكا بعد أن ثاروا ضد الاحتلال البريطاني وتعليق الجنود البريطانيين على فروع الزيتون وإعدامهم بالجملة وكان المسؤول عن هذه الجرائم الإرهابي مناحيم بيغن الذي حكمت عليه بريطانيا بعد أن فجر فندق الملك داوود عشرون عاما وبعد ذلك أصبح رئيساً لوزراء "إسرائيل". وقد زرت بريطانيا عام 1977 ولمست الاستتكار وكانت حجة الحكومة البريطانية بأن الحكم سقط عنه لتقادم التنفيذ لامتعاض بين أساتذة جامعة درم وفي هذا السياق أعرض للقارئ الكريم قصة تعبر عن ردود فعل البشر في محاربة القهر والظلم.

كنت من سكان عكا وفي عام 1947م وفي شهر آب سمعنا انفجاراً هائلاً هز المدينة بشكل عنيف وكنت أعمل في مكتب أحمد الشقيري الملاصق لسينما البرج فوق بوابة عكا القديمة، وما هي إلا لحظات وقد رأيت سيارة بيك أب مغلقة من فوقها بغطاء وهي تمشي باتجاه البوابة وأمامها شخصان بلباس جنود انكليز ويصرخون على الناس بالشوارع بالتزام المحلات ولما خرجوا من البوابة لاقتهم سيارة جيب بريطانية قرب البوابة وكان فيها جنديان من جنود الطيران (براشوت) وعليها رشاش مركب على حامل ولما رأى الصهاينة سيارة بريطانية أطلقوا عليها النار من رشاشاتهم وقد اصابوا أحدهم الواقف خلف الرشاش (الهوشكز) فقتلوه فوراً ولما رأى رفيقه ما حصل وكان يسوق السيارة ولحق بهم وقد ركبت دراجتي ولحقت بهم وقالوا لي أنهم راحوا عن طريق صفد وأخذت طريق مختصر أعرفه ووصلت إلى شمال تل الفخار بعد عين العجلة ووجدت الجندي قد سبق سيارة الارهابيين ووقف وراء الرشاش وما أن اقتربت سيارة الارهابيين وعرفت سيارة الجندي وأرادت الرجوع وتهرب فما كان من الجندي المفجوع بزميله إلا أن أطلق رشاشه على السيارة وقتل سائقها وانقلبت السيارة وأخذ المساجين الذين فيها يهربون بين الزرع الجاف فاخذ يضربهم ويلاحقهم برشاشه ويصليهم نار حامية وكان الأولاد أمامي عندما يرى أحدهم بين الزرع فتصرخ للجندي بقولنا مستر مستر هذا واحد فيلقى مصرعه.

وبعد أن تم الجندي مهمته دخل سيارة (الجيب) ونقل رفيقه وضمه إلى صدره ولسان حاله يقول: "لقد انتقمتم لك يا عزيزي" ثم انطلق بسيارته راجعاً إلى حيث كان على شاطئ عكا الشرقي حيث نزل زملاءه واليوم لا أعرف مصير ذلك الجندي الذي قتل منهم 22 سجيناً مع جنديين من رجال مناحيم بيغن.

كان الهدف كان عند منظمة شتيرن تحرير جماعتهم من سجن عكا إذ كانت الخطة ان تذهب ثلاث سيارات بيك أب إلى مدرسة البنات وهناك يقومون بغلق الشوارع خلف السجن ثم يركبون سلاّم بحجة تصليح الكهرباء ويحفرون جدار السجن ويفجرونه بالاتفاق مع نزلاء السجن من اليهود وهذا سبب الانفجار الذي عمل فتحة خرج منها السجناء اليهود ثم تبعهم السجناء العرب.

6- التعاون البريطاني مع المنظمات الصهيونية العسكرية مما رأيته:

- أن الشهيد أحمد الحنيطي جاء بسيارة مسلحة من لبنان قاصداً حيفا للقاء القوات الصهيونية عند عبور رأس الناقورة بين لبنان وفلسطين أخبر الضباط الانكليز رؤساء اليهود بهذه السيارة ولما وصل الحنيطي إلى عكا حذره الأهالي بأن ينقل الأسلحة عن طريق البحر، ولكن الرجل رأى أنه يتأخر في نجدة إخوانه في حيفا وواصل طريقه وبعد مغادرته عكا سمعنا من عكا انفجاراً ضخماً وعرفنا بعدها أن الشهيد دمر السيارة بالمتفجرات واستشهد هو وزملائه وقتل العديد من الصهاينة في مستعمرة موتسكن، وقد نقل خبر السيارة إلى الصهاينة موظفون إنكليز في رأس الناقورة ولو أنه أخذ بنصيحة العكاويين لنجا، وقد تبع ذلك الحادث مباشرة رد ثوار عكا.
- توجه أربعة من مهندسين الكهرباء الصهاينة في سيارة إلى نهاريّا بحراسة مصفحتين بريطانيتين وعند قدومها تصدت القوات العكاوية لهما فعطلت سيارة الحراسة الأولى وتابعت سيارة المهندسين طريقها وتناولها الحاجز الثاني وألقوا عليها القنابل عن سطوح المنازل فقتل السائق وانقلبت السيارة وأخرج المقاتلون من فيها وقتلوه انتقاماً للشهيد الحنيطي ورفاقه، قد شاهدت تلك الأحداث وكنت أراها أمامي حتى أنني أذكر وأنا أرى جثث القتلى على الأرض وقد حمل أحد الشباب (شبريته) وصاح قائلاً أمشوا فوق جثثهم، وقد حاولت بدوري أن أدوس ولم أكمل لأنني قرفت هذا المنظر ولم أعد أميز وجه القتل وقد دمر الرأس تماماً وبين رعشات رجلي وهي تدوس وكأنني أدوس على فرشة إسفنج ولم أكمل السير وتألّمت من هذا المنظر غير الأخلاقي أبداً.

7- تسليم الإدارة العسكرية البريطانية جميع معسكراتها وما فيها إلى العصابات الصهيونية وكانت هذه المعسكرات عوناً كبيراً للسلطات الصهيونية ساعدتهم في مواصلة الحرب ضد العرب.

8- لقد أعانت حكومة الانتداب المهاجرين الصهاينة لإنشاء دولة ضمن دولة لإعلان الدولة الإسرائيلية التي يحتل الإسرائيليون بقيامها في 28 نيسان من كل عام بينما لم تسمح للعرب بأي جمعية أو منظمة أو إدارة يمكن اعتمادها لإدارة البلاد بعد رحيل الانتداب عن فلسطين.

هذا شيء من كثير مارسه حكومة الانتداب ضد شعب فلسطين العربي خلال ثلاثين سنة من الاحتلال من وعد بلفور مروراً بإخماد ثورات عرب فلسطين حتى الجلاء عن فلسطين عام 1948. أما ما قامت به الصهيونية وما لديها من إعلام وما أكثره في تزيف الحقائق وقلب المفاهيم وأركز على البعض منها:

إن فلسطين هي أرضهم وأن اليهود وعدوا بها بينما الآثار تثبت عكس ذلك وأن شعب إسرائيل قد انتهى في حملات نبوخذ نصر ويوليوس اليوناني في القرن السابع ق.م والقرن الأول ميلادي، حيث القائد الروماني طيطس دمر الهيكل ولم يعرف مكانه أن الدين اليهودي يشكل قومية وهذا مخالف لكل مقومات القومية فالديانة اليهودية معتقد وليس هناك ما يجمع اليهودي اليمني باليهودي الاسكندراني واليهودي الخزري مع اليهودي الافريقي وإذا اجتمع خمسة من المهاجرين من بلدان مختلفة لا تجمعهم لغة أو دم وهم بحاجة إلى تراجع لتتم عملية التواصل فيما بينهم.

- قالوا إنهم انتصروا على سبعة جيوش عربية وإن الواقع غير ذلك.
- إن جامعة الدول العربية تأسست عام 1945 أي بعد الحرب العالمية الثانية والدول السبع كانت تحت الاستعمار البريطاني والفرنسي ولم يمض على استقلالها أكثر من ثلاثة أعوام. وكانت كلها مرتبطة بالإنكليز والفرنسيين فالأردن كانت مرتبطة بالإنكليز وجيشها يحكمه ويسيره جنرال جلوب باشا وهو القائد الفعلي للجيش العربية العتيدة والذي عزله الملك حسين بن طلال وتخلص منه.
- والعراق كان مكبلاً بمعاهدة مع بريطانيا وهي معاهدة 1936م وأغلب ضباط الجيش من الإنكليز.
- ومصر كانت تحكم بنظام ملكي ومرتبطة بمعاهدة مع بريطانيا، والجيش البريطاني جاثم على قناة السويس وسورية كان لها جيش مستقل تنقصه المعدات والجنود المدربة إذ قام الضباط الفلسطينيون عام 1949 - 1950 وهم الذين طوروا وأسسوا الجيش السوري بعد انقلاب حسني الزعيم على شكري القوتلي.
- والجيش اللبناني هو جيش مرتبط بفرنسا ولا يعنيه حرب إسرائيل لا من قريب أو بعيد واليمن السعيد بعيد عنا آلاف الأميال وتحت حكم الإمامة الذي كان يبيع إمامهم طوابع البريد في ديوانه.

- والسعودية التي كان ملكها مشغول بتوطيد ملكه في الجزيرة العربية وليس عنده القدرة لتحدي الدول الغربية التي كانت تخطط للسيطرة على إنتاج البترول وبشكل خاص الشركات الأمريكية وقد سبق للأمين العام للجامعة العربية "السيد عبد الرحمن باشا" ومعه وفد فلسطيني يرجونه بأن يشترط على الشركات بأن تقف حكومتهم مع حق الشعب الفلسطيني وبشكل محايد لا أن تساعد الصهيونية ولم يقتنع الرجل بهذا الطلب الذي كان لو تحقق لما خرج الفلسطينيون من ديارهم.
- هذه أوضاع الجيوش العربية التي تتجح إسرائيل بأنها هزمت سبعة جيوش عربية علماً أن شباب عرب فلسطين وقفوا ضد القوات الإسرائيلية ولم تستطع الصهيونية احتلال أي قرية خاصة القرى التي كانت بالقرب من الجيش العراقي في منطقة جنين وطولكرم في بلدة الطيبة، إذ أن القوات العراقية ساندت ثوار فلسطين في قرية اجزم وعين غزال وجبع. واستطاعت هذه القرى أن تصمد بعد سقوط حيفا بأربعة أشهر.
- كانت قوات الصهاينة تزيد عن 30 ألف جندي محترف خاضوا مع الحلفاء في الحرب الكونية الثانية وكان لديهم 32 ألف مقاتل مدربون احتياط.
- قبل الهدنة الأولى كان النصر للعرب ضد القوات الصهيونية.
- تدخلت الدول الغربية لدى القادة العرب وأقنعوهم بالهدنة واستغل الصهاينة هذه الهدنة فأخذوا يجمعون الأسلحة ووسائل حربية جديدة ومنها الطيران فيما لم يوجد طائرة واحدة تدخل أرض فلسطين.
- إخراج جيش الإنقاذ من المعركة على أساس أن تحرير فلسطين مهمة الجيوش العربية التي استخدم بعضها أسلحة فاسدة كانت تقتل صاحبها أحياناً مثل الأسلحة المصرية التي كانت مصر حينها مكبله بمعاهدة والجيش البريطاني صاحب وعد بلفور يحتل قناة السويس.
- هذا قليل من كثير تقصير الجامعة العربية العتيدة والتي بدأت بسبع دول والآن باتت تضم (21) دولة قطرية تتنافس مع بعضها والضعف ينهش أهلها وسفاهها: كلاب للأجانب هم ولكن على أبناء جلدتهم أسود.

المراجع

- (1) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير مروان الماضي
- (2) بلادنا فلسطين ج1 مصطفى الدباغ
- (3) الموسوعة الحرة ويكيبيديا

الفصل العاشر

مجازر الصهيونية في شعب فلسطين

قامت الصهيونية العالمية منذ أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بصياغة منهاجها الاستعماري المطابق للاستعمار الأوروبي ويزيد عليه بالاستعمار الاستيطاني القائم على تفرغ فلسطين من سكانها العرب وإحلال يهود العالم محلهم والتقت دعوتهم مع مع رائدة الاستعمار العالمي بريطانيا. وقد وجدت بريطانيا مصلحتها بزرع شعب غريب في قلب فلسطين لمنع الجناح العربي في أفريقيا عن الجناح العربي الآسيوي وتمزيق وحدة العرب بكيانات هزيلة ضعيفة تظل تابعة للاستعمار بكل أشكاله. تلاقت مصالح بريطانيا مع رغبات الصهاينة فأصدرت الحكومة البريطانية وعدا المشؤوم وهو وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا بتاريخ 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1917 الذي ينص منح الصهاينة وطن قومي لهم في فلسطين بشرط عدم المساس بمصالح سكانها العرب وكانت فلسطين آنذاك تحت الحكم العثماني. وقد بات هذا الوعد مقدسا لدى السلطة البريطانية وعملت كل المستحيلات في تنفيذه رغم كل الاحتجاجات السلمية من شعب فلسطين العربي من مظاهرات وعنف كانت تجابهه بقسوة ظالمة وقد حكمت بريطانيا فلسطين منذ عام 1918 حتى عام 1948 أي ثلاثة عقود أنجزت فيها تأمين الوعد بكل مقوماته في تأمين المؤسسات والأبنية والمرافئ البحرية مثل ميناء حيفا ومصفاة البترول، والموانئ الجوية المدنية مثل مطاري اللد وقلندية وشبكات مواصلات برية بطول البلاد وعرضها كما خلفت بريطانيا ما أقامته من معسكرات وسجون ومراكز الأمن ومؤسسات كاملة للخدمات (دوائر تعليم، زراعة، صناعة، محاكم... الخ) إلى جاب الهجرة الصهيونية التي تم في عهد انتدابها إذ كان عدد اليهود بفلسطين وقت انتدابها 56000 فرداً وأصبح عددهم بعد انسحابها 650000 نسمة.

كل هذا تسلمته العصابات الصهيونية من بريطانيا عند انسحابها من فلسطين وتركت للعصابات الصهيونية السيطرة على باقي فلسطين ولم تترك لأهالي البلد من مؤشر حضاري سوى البيوت المهدمة لمعارضين لسياساتها وتعد بآلاف والسجون والمعتقلات والتشريد وإليك ما قامت به العصابات الصهيونية من مجازر لعرب فلسطين.

14) **مذبحة قريتي بلد الشيخ وحواصة** بتاريخ 31-12-1947: أمام باب مصفاة بترول حيفا، ألقى الصهاينة وهم في داخل حافلة مصفحة قنبلة قتلت عدداً من العمال العرب كانوا مجتمعين بفسحة الباب ووصل الخبر إلى العمال في الداخل ثار العمال العرب وأكثرهم من قريتي حواصة وبلد الشيخ

هاجموا العمال اليهود الموجودين بالمصفاة بالمعاول والفؤوس وقضبان الحديد وقتلوا وجرحوا نحو ستين منهم عندها قامت المنظمات الصهيونية بمهاجمة المساكن المتطرفة في القريتين الآمنتين ليلاً فرموها بالقنابل اليدوي وأمطروها برشاشاتهم لمدة ساعة وخلفوا وراء هذا الهجوم المفاجئ 30 شهيداً وجريحاً وأحرقوا عشرة بيوت .

(15) **مذبحة قرية سعسع قضاء صفد** في 14-2-1948: شنت عصابة البالماخ الصهيونية هجوماً على قرية سعسع دمرت فيها 20 منزلاً فوق أصحابها وأسفر الهجوم عن 60 نسمة معظمهم من النساء والأطفال وقد تماها العدو بهذه الجريمة واعتبرها مثالية يعتز بها.

(16) **مذبحة رحوفوت قرب الرملة** بتاريخ 27-2-1948: حدثت في حيفا قرب مستوطنة رحبوت، حيث نسف الصهاينة قطار القنطرة للركاب الأمر الذي أسفر عن استشهاد 27 عربياً وجرح ستة وثلاثين آخرين.

(17) **مذبحة الحسينية** في 13-3-1948: قامت عصابة الهاجاناه بالهجوم على القرية وعملت على تدميرها وأسفرت المذبحة عن استشهاد ثلاثين عربياً.

(18) **مذبحة بنيا ميناه** في 27-5-1948: لقد حدث في هذا الموقع مذبحتان حيث نسف قطاران أولهما تم في 27-5-1948 وأسفر عن استشهاد 24 فلسطينياً وجرح أكثر من 61 آخرين وتمت العملية الثانية في 31-5-1948 حيث استشهد أكثر من 40 عربياً وجرح 60 آخرون.

(19) **مذبحة دير ياسين** في 9-4-1948: مجزرة ارتكبتها منظمتان صهيونيتان إرهابيتان هما الأرغون والتي يرأسها مناجيم بيجن رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد والمحكوم عليه من قبل حكومة الانتداب البريطانية بعشرين عاماً وتم الهجوم باتفاق كسبى مع منظمة الهاجاناه وراح ضحيتها زهاء 260 فلسطينياً من أهالي القرية معظمهم مدنيين عزل، وكانت هذه المذبحة وغيرها من أعمال الإرهاب والتنكيل المحرمة دولياً وهي إحدى وسائل البطش التي تبنتها العصابات الصهيونية لإفراغ الأرض من أصحابها والسيطرة على فلسطين العربية وكل هذا تحت أنظار سلطة الانتداب وحرب جنودها المسلحة على عرب فلسطين.

(20) **مذبحة الطنطورة** في 22-5-1948: هاجمت كتيبة 23 التابعة للواء الاكسندروني ليلاً قرية الطنطورة واحتلتها بعد ساعات وانهمك الجنود الصهاينة بملاحقة ومطاردة البالغين من الذكور وقتل من يقابلوه بعد أن قسموا بعضهم إلى فرق توزعوا في القرية. وقد جمعوا جثث القتلى وعددهم التسعين شهيداً من خيرة شبان القرية وطمروهم في حفرة، ولم يكشف الخبر عنهم إلا قيام طالب جامعي

يهودي بتقديم رسالته والتي خصها في المذبحة وأخذ مصادره من أفواه من قابلهم من ذوي الشهداء وضباط الجيش الإسرائيلي وملفات العسكر.

(21) **مذبحة قرية الدوايمة في 29-10-1948:** هاجمت الكتيبة التابعة لمنظمة ليحي الصهيونية بقيادة موشي ديان قرية الدوايمة في منتصف الليل وحاصرت المصفحات البلدة من كل أطرافها ما عدا الجانب الشرقي للسماح لأهلها بالهرب، وقام أفراد المنظمة بتفتيش المنازل وقتلوا كل من صادفهم من السكان ونسفوا بيت المختار، وقد لجأ بعض المسنين إلى مسجد القرية واحتموا فيه وقتل منهم 75 رجلاً كما لجأت 36 عائلة إلى مغارة البلدة، وفي اليوم الثاني وصلت قوات الإرهاب جميعاً بالقنابل والرشاشات، وقد حاول البعض من أهل القرية التسلل إلى بيوتهم لجلب الطعام والشراب والنياب وقد جرى اقتناصهم وقتلهم كما نسفوا عدة بيوت بمن فيها. ثم جمع الصهاينة الجثث وألقوها في بئر القرية لإخفاء بشاعة المجزرة والتي لم يكشف عنها إلا عندما نشرت صحيفة حداثوت الإسرائيلية تحقيقاً عنها، وقد أقام الصهاينة مستعمرة " أماتزيا " على أرض القرية المنكوبة.

(22) **مذبحة يازور قرب يافا في كانون أول عام 1948:** تقع القرية على مفترق طرق تعرضت القوافل الصهيونية إلى عنف المقاومة العربية كانت آخرها أن اصطدمت سيارة حراسة يهودية بلغم أردى بحياة ركبها وكانوا سبعة، فوجه ضابط عمليات منظمة الهاجاناه بيجال يادين أمراً إلى قائد البالماخ بيجان آلون بالقيام بعملية عسكرية ضد القرية تتضمن نسف وإحراق منازل وقتل سكانها. قامت العصابات الصهيونية الإرهابية في 22 كانون الثاني/يناير 1949 أي بعد 30 يوماً من حادث الحراسة وتولى إسحق رابين عمليات الملباخ فهاجم القرية فجر ذلك اليوم فنسفت قواته العديد من المنازل ومباني منها مصنع الثلج وأسفر هذا الاعتداء عن مقتل 15 فلسطينياً من سكان القرية وهم نيام، وتعود أهمية هذه المذبحة إلى أن الشخصيات المعتدلة بين أعضاء النخبة الحاكمة في إسرائيل اشتركوا في هذه المذبحة كما أن توقيت الجريمة جاء بعد إعلان قيام الدولة ولم تنشر تفاصيل الجريمة إلا عام 1981.

(23) **مذبحة شرفات في 7-2-1951:** في الثالثة من صبيحة يوم 7-2-1951 وصلت سيارات قادمة من القدس وعلى ثلاثة كيلو مترت ونصف عن خط سكة الحديد جنوب غرب المدينة وتوقفت حيث ترجل منها نحو ثلاثين مسلحاً صهيونياً واجتازوا خط الهدنة وتسلقوا المرتفع باتجاه القرية المطلّة على القدس، فقطعوا الأسلاك الشائكة واحاطوا ببيت المختار ووضعوا عبوات ناسفة في جدرانها ونسفوها بمن فيها وانسحبوا تحت حماية نيران زملائهم والتي أصابت أهل القرية وأسفرت المذبحة عن سقوط عشرة من القتلى وثلاث نساء وخمسة أطفال وثمانية جرحى كلهم من النساء والأطفال.

24) مذبحة بيت لحم في 26-1-1952: وفي ليلة عيد ميلاد السيد المسيح الطوائف الشرقية قامت دورية صهيونية بنسف منزل قريب من بلدة بيت جالا على بعد 2 كم من بيت لحم وأطلقت النار على منزل آخر بالقنابل اليدوية فقتل صاحب المنزل وزوجته، وطفلان وجرح طفلان آخران من العائلة.

25) مذبحة قرية قلعة في 29-1-1953: هاجمت سرية معززة تتألف من 120-130 جندياً صهيونياً قرية قلعة العربية الواقعة في الضفة الغربية حيث دكت القرية بمدافع الهاون فهدمت بعض بيوتها وخلفت تسعة شهداء مدنيين الى جانب عشرين جريحاً.

26) مذبحة قلقيلية في 28-8-1953: حرص أهل قلقيلية على جمع المال وشراء لأسلحة للدفاع عن أنفسهم لما لمسوه من جرائم العصابات الصهيونية في إبادة شعب فلسطين. واستمرت المناوشات بين الطرفين، ولم يكتف الصهاينة غضبهم وفشلهم في كسر شوكة أهل القرية حتى أن موسى ديان صرح بقوله "سأحرث قلقيلية حرثاً" وذلك أثر فشل عدة محاولات لاحتلالها وبشكل خاص في اشتباك يونيو 1953. وفي التاسعة من مساء العاشر من تشرين أول عام 1953 تسالت الى قلقيلية مفرزة الجيش الصهيوني تقدر بكتيبة مشاة وكتيبة مدرعات تساندها مدفعية ميدان ونحو عشر طائرات مقاتلة، فقطعت الأسلاك الشائكة وأسلاك الهاتف وزرعت بعض الألغام في الطرق في الوقت الذي احتشدت فيه قوة كبيرة من المستوطنات القريبة، وقد تحركت في الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه وهاجمت قلقيلية من ثلاثة جهات مع التركيز على مركز الشرطة، لكن الحرس الوطني أفضل الهجوم وتراجع العدو بمدرعاته، وبعد ساعة عاود العدو الهجوم بكتيبة مشاة تحت حماية المدرعات واحبطت العملية على يد النجيدات القادمة من أهل القرية وما جاورها وتراجع العدو ثانية وقد تكبد خسائر واضحة.

تأكد سكان القرية أن هدف العدو هو مركز الشرطة فزادوا قواتهم حوله وحشدوا أعداداً كبيرة حوله وقد استغل العدو هذه الظاهرة فحشدوا التجمعات بالمدفعية الميدانية وقذفت الطائرات رشاشاتها وقنابلها وتقدمت آليات العدو الى مركز الشرطة واحتلوه ثم تابع العدو تقدمه وهو يطلق النار من رشاشاته على البيوت وقتل كل من يصادفهم في الطريق وكان حصيلة المذبحة الغير متكافئة قرابة سبعين شهيدا من سكان القرية وما حولها الى جانب الخسائر المادية التي لحقت ببيت أهل البلدة وما أكثرها. لقد تحركت وحدة من الجيش الأردني والقريبة من القرية واصطدمت بألغام العدو التي زرعها في الطريق فتكبد بعض الخسائر وقام بعدها بقصف تجمعات العدو بالمدفعية الميدانية وكبدهم بعض الخسائر.

14) **مذبحة قيبية** في 15-1-1953: في كتاب صدر في تل أبيب عام 1969 باللغة العبرية يرصد مؤلفه (يوري فلنشتين) العمليات التي قامت بها الفرقة 101 الشهيرة والمتخصصة بتدمير القرى العربية والتي يرأسها "آريل شارون" ونائبه شالوم والذي يحكى عنه في إسرائيل أنه أجهز على الجرحى في مستشفى شرم الشيخ العسكري عام 1956 وقد قامت هذه الوحدة بسلسلة من العمليات الإرهابية خلال عام 1953 بلغت ذروتها في مذبحة "قبيبة" القرية الوديعه الواقعة في الضفة الغربية، وقد تذرعت السلطة الصهيونية في بداية الأمر بأن الهجوم جاء إنتقامي لمقتل امرأة يهودية مع طفلها كما مارست الخداع بادعائها أن مرتكبي الحادث هم من المستوطنين وليسوا قوات نظامية إلا أن مجلس الأمن الذي أيدته اعترافات بعض القيادات الصهيونية بأن الهجوم على المرأة وطفلها خطط له منذ زمن بعيد لذلك لا بد من الانتقام وأسفرت مذبحة قيبية عن سقوط 19 قتيلاً من المدنيين العزل ونسف 41 بيتاً ومسجد وخزان مياه القرية، وقد أبيت أسر بكاملها مثل عائلة عبد المنعم قاووس المؤلفة من 12 فرداً.

وتعد مجزرة قيبية علامة بارزة في انتهاك دولة الصهاينة للقانون والأعراف الدولية فضلاً عن حقوق الإنسان ونموذجاً سافراً لسياستها الإرهابية والأمم المتحدة المغلوب على أمرها لا يصدر عنها سوى الاستكارات الخجولة وبصاق تافه سرعان ما تلحسه قبل أن يجف.

18) **مذبحة دير أيوب** في 29-5-1954: في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم خرجت من القرية ثلاث بنات لجمع الحطب تراوحت أعمارهن بين الثامنة والثاني عشرة، وعند وصولهم إلى نقطة قريبة من القرية وعلى بعد 400 متر من خط الهدنة فاجأهم بعض الجنود الصهاينة وهربت طفلة فأطلقوا عليها النار وأصابوها في فخذاها وتحملت الطفلة وتابعت الركض حتى وصلت بيت أهلها وأخبرتهم بما جرى.

أسرع أهل الطفلتين الى المكان المذكور، وشاهدوا نحو إثني عشر جنديا يسوقون أمامهم الطفلتين باتجاه بطن الوادي في الجنوب حيث أوقفوهما وأطلقوا عليهما النار واختفوا وراء خط الهدنة وقد توفيت إحدى الطفلتين مباشرة وفي اليوم توفيت الأخرى بالمستشفى الذي نقلت اليه.

19) **مذبحة نحالين** في 29-5-1954: قامت قوة من الجيش الإسرائيلي مؤلفة من 300 من اجتياز خط الهدنة وتوغلت في أراضي الضفة الغربية مسافة أربعة كيلومترات حتى وصلت إلى قرية نحالين بالقرب من بيت لحم حيث ألقت كمية من القنابل على تجمعات من سكان القرية وبثت الألغام في بيوت القرية ومسجدها وأسفرت المجزرة عن استشهاد أحد عشر من سكان القرية وجرح أربعة آخرين.

(20) **مذبحة كفر قاسم** في 1956/10/29: وعشية العدوان الثلاثي على مصر تولت قوة من الجيش الإسرائيلي تنفيذ حظر التجول على المنطقة التي تقع عليها بلدة كفر قاسم في منطقة المثلث على الحدود مع الأردن بالضفة الغربية، وقد تلقى قائد القوة ويدعى الرائد شموئيل ملنيكي الأوامر بتقديم موعد حظر التجول في المنطقة الى الساعة الخامسة مساءً وهو الأمر الذي يستحيل تنفيذه خاصة أولئك الذين يعملون خارجها وهو ما نبه اليه مختار القرية حينها الى قائد القوة الإسرائيلية، كما تلقى شموئيل ملنيكي توجيهات واضحة من العقيد (شدمي) "بقتل العائدين إلى القرية بقوله: (الأفضل أن يكون هناك قتل لا نريد اعتقالات، دعنا من العواطف) وكان أول الضحايا أربعة عمال رحبوا الجنود بكلمة شالوم فردوا عليهم التحية بحصد ثلاثة منهم بينما نجا الرابع ظناً منهم بأنه خر أرضاً مع الآخرين ولقي مصرعه، كما قتلت مجموعة منهم 2 امرأة كن عائدات من جمع الزيتون وذلك بعد أن استشار الملازم جبرائيل دهان القيادة باللاسلكي، وعلى ساعة ونصف الساعة سقط 49 شهيداً و13 جريحاً هم ضحايا المذبحة وقد لوحظ بأن جنود الاحتلال شلحوا الضحايا نقودهم وخواتم أيديهم وساعاتهم اليدوية.

ظلت السلطات الإسرائيلية ملتزمة الصمت عن المجزرة أسبوعين إلى أن اضطرت لإصدار بيان من مكتب رئيس الدولة عقب تسرب أنباء إلى الصحف ووسائل الإعلام، وتغطية على الجريمة أجريت محاكمة ثلاثة عشر منهما على رأسهم العقيد شدمي وأسفرت المحاكمة عن تبرئة شدمي حيث شهد لصالحه موثي حاييم بينما عوقب ملنيكي بالسجن 17 عاماً وعوقب دهان وشالوم عوفر بالسجن 15 عاماً في حين حكم على خمسة آخرين بأحكام تصل إلى سبع سنوات وحظي الباقي بالبراءة.

وإذا كانت محاكمة المتهمين الصهاينة بدأت بعد عامين من المذبحة فإنه قبل عام 1960 كانوا جميعاً خارج السجون أحراراً حيث أصدر إسحق تسفي رئيس دولة إسرائيل عفواً عنهم، بعدها سارع الملازم دهان بالرحيل إلى باريس معلناً سخطه على التمييز التي تمارسه السلطات بين السفارديم وهم اليهود الشرقيين.

المراجع

- فلسطين بالذاكرة
- كل المجازر الواردة، مصدرها (الذاكرة الفلسطينية إنترنت)

الفصل الحادي عشر

انتفاضات شعب فلسطين

لقد عرضنا ما قام به الانتداب البريطاني في فلسطين وشعبها العربي من نشاطات لتثبيت وعد بلفور وقهر أصحاب البلاد.

لكن الوضع بعد الانتداب ما فعلته الدولة المحتلة بشعب فلسطين الذي بقي فيها والذي يقال عنهم عرب 1948 وكان عددهم 120 ألف نسمة مارست معهم ما يلي:

سمتهم السلط المحتلة بسكان 1948 واعطتهم الجنسية الإسرائيلية ونفت عنهم الجنسية الفلسطينية التي كانوا يتمتعون بها رسمياً زمن الانتداب وكان هذا القرار إجحافاً فرضوه عليهم وجعل حياتهم في جحيم، وقد رأت السلطة بأن الرأي العام العالمي بات يميل شيئاً نحو العرب وأزاح عنهم الأحكام العسكرية ومنحهم حرية الحركة والعمالة المقننة والتعامل بالتجارة والصناعة وأعطت لبعض القرى تأسيس بلدياتها وتأمين الميزانية المتوازنة في إحداث المرفق الأساسية من كهرباء وماء وهاتف. وكان هذا العطاء لا يبيح بالبناء إلا عن طريق رخصة رسمية من السلطات وكانت الرخصة تكلف صاحبها الكثير من الوقت والمال وفي بعض الحالات يأتي الرد بالرفض .

لقد تجلت العنصرية في أعلى مراتبها بكل عواملها نذكر بعضها وما أكثر:

- العمالة في الوظائف والعمال هناك تمييز بين المواطن العربي والمستوطن في الوظيفة ولو تساوت المؤهلات وكذلك بالعمالة ولو تساوت الخبرات أو زادت قدرات الفلسطيني الذهنية والمهنية.
- هناك تمييز بين الرواتب فالمستوطن يحصل على راتب أعلى من نظيره العربي في المهنة والمؤهلات.
- التعليم تعامل السلطات ا لتعليم في أراضي عام 1948 معاملة من الدرجة الثانية بالبناء بالمرافق فيها ثم الميزانية المقدرة لكل منهما في المدارس العربي ومدارس المستوطنات.
- تعاني البلدات العربية من نقص في الأراضي المخصصة للبناء لأن السلطات صادرت أكثر أراضي القرية وأعطت القسم الأكبر للمستوطنات.

- وضع النائب الفلسطيني بالكنيسيت: مع أن النائب العربي الممثل لأبناء شعبه بالقانون يحق له الدفاع عن طلبات من يمثلهم وقد أصبح عدد النواب من عرب فلسطين يمثلون كتلة موحدة لها كلمتها في لبرلمان الإسرائيلي رغم القرارات التي اتهم أعضاء المجلس الطابور الخامس وآخرون بالقنبلة الموقوتة وتم طرد بعضا منهم.

وبعد احتلال "إسرائيل" الضفة الغربية وقطاع غزة، حاولت السلطات الإسرائيلية فتح باب اللقاء بين الضفة والقطاع مع إخوانهم العرب في "إسرائيل" طمعاً بتأثير هؤلاء على (سكان عام 1948) على أخوتهم في الضفة والقطاع للتحويل نحو "إسرائيل" ولم يمض سوى شهور قليلة وقد تبين لهم أن أملهم ضاع هدرًا وسرعان ما وجدوا عكس ما خططوا له، وأن باتت العواطف العربية تتلاقى ولم يتغير عند أخوتنا أي شعور بحب فلسطين من أرض ونبات وحيوان وسكن وسكان وقد خاب ظنهم وسرعان ما أوقفوا هذه اللقاءات والتبادل بالسلع والمعدات وطبقت "إسرائيل" سياسة الحكم العسكري على الضفة والقطاع.

ولما واجهت المقاومة الاحتلال بكل مقوماته السياسية عن طريق رؤساء البلديات والمظاهرات بالضغط على هؤلاء بالنفي والسجن والاعتقال كاغتيال رئيس بلدية نابلس (بسام الشكعة) وهو إرهاب الدولة واشتدت المقاومة وتجلت بانتفاضة الحجارة الأولى مما أربكت السلطات العسكرية وكان ردها من القساوة كسر عظام المتظاهرين وموت الكثير برصاص العسكر أو إصابات بالغة بالرصاص المطاطي زد على ذلك بالسجون التي حوت الآلاف من المعتقلين حيث قيل (أنه لم يخل بيت في الضفة والقطاع ولم يدخل أحد أفراد السجون).

ومن نشاطات المقاومة بعض منها وما أكثرها وفي يوم الأرض في 30 آذار الموافق عام 1976 إذ شارك أبناء فلسطين في إضراب عام تضافرت فيه كل الفعاليات واطلق عليه يوم المساواة (السلام) وقد نظمت المناطق المحتلة عام 1948 ولجنة المتابعة للشؤون العامة لعرب "إسرائيل" وبدأت المسيرات من بلدة سخنين في الجليل الغربي وقد تخللتها أناشيد وهتافات لمنظمة التحرير الفلسطينية رغم تدخل بعض زعماء العرب السياسيون بعدم استفزاز سلطات الاحتلال إلا أنه مع ذلك برزت شعارات معادية لإسرائيل والمؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية على الجدران في قرى الجليل الأعلى وشفا عمرو وعكا وباتت ظاهرة رفع الأعلام الفلسطينية خبراً شائعاً تشير إليه الصحف.

وفي منتصف تشرين الثاني أقدمت السلطة الإسرائيلية على تدمير خمسة عشر بيتاً في قرية الطيبة، فأضرب العرب في "إسرائيل" إضراباً شاملاً وأطلقوا على إضرابهم هذا (يوم السكن) وقد ازادت الشعارات المعادية للاحتلال في كل مكان من سكان عام 1948.

- وفي حزيران عام 1967 احتلت "إسرائيل" بلدة أم الفحم وطردت مئات العائلات وحرمانهم العودة إلى منازلهم.

الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة)

كانت انطلاقاً للانتفاضة من مخيم جباليا في قطاع غزة في 9 آذار/ مارس 1987 إذ قام أهل المخيم وأهل القطاع عموماً بمظاهرات صاخبة، أثتاء تشييع الشهداء الأربعة الذين سقطوا قرب حاجز إيرز حيث أطلق الجنود النار في جباليا فاستشهد شخصان وجرح ستة وعشرون بينهم أطفال، وفرض منع التجول على المخيم ومن أحيائها تطاير الشرر وعمت الانتفاضة كل القطاع، ثم امتدت إلى الضفة الغربية وإزاء المشهد اليومي هبت فلسطين المحتلة كلها تأييداً وتعاوناً وفي اليوم الثالث عشر للانتفاضة قام إضراب عام لم تشهد البلاد له مثيلاً منذ بدء الاحتلال قبل أربعين سنة.

ابتدأ ذلك اليوم التاريخي بتلاوة القرآن الكريم في المساجد وقرع أجراس الكنائس وهذا التقليد نضالي معروف عن الآباء والأجداد ومنذ أن علت أصوات المآذن ونواقيس الكنائس بالرنين انطلقت الجماهير في هذا اليوم التاريخي في كل المدن والقرى والمخيمات في الضفة والقطاع تهتف للجهاد في سبيل أحياء فلسطين كما خرجت جماهير الأرض المحتلة عام 1948 في الناصرة وحيفا وعكا وصولاً إلى صحراء النقب، وقد شارك أهلنا في الجولان بهذه الانتفاضة واصطدموا في مجدل شمس بالشرطة الإسرائيلية واستمراراً للانتفاضة وفي ذكرى معركة الكرامة في 21 آذار/مارس إذ رفعت أعلام فلسطين وأقيمت المتاريس في ظل إضراب شامل مثلما جرى في أم الفحم وقلقيلية وتحديهما للحصار العسكري والتمويني الذي فرض عليهما منذ تسعة أيام وقد تمكنت المجموعات المقاومة بوضع المتاريس المزدانة بالأعلام والشعارات الوطنية، وقد قابلت السلطات الإسرائيلية كعادتها بالعنف والاعتداءات من ملاحقة واعتقالات.

وكانت نتائج ما قدمه الفلسطينيون من الضحايا (1162 شهيد بينهم حوالي 241 طفلاً ونحو 90 ألف جريح ومصاب و 15 ألف معتقلاً وتدمير 1228 منزلاً واقتلاع 140 ألف شجرة من الحقول والمزارع الفلسطينية، كما تم اعتقال 60 ألف أسير من القدس والضفة وقطاع غزة وعرب الداخل بالإضافة

إلى الأسرى العرب ولاستيغاب هذا العدد الهائل أفتتحت "إسرائيل" سجون مثل سجن كتسيعوت في صحراء النقب والذي أفتتح عام 1988.

وقد قتل من الإسرائيليين 160 فلسطينياً بينهم خمسة أطفال، حققت الانتفاضة الأولى نتائج سياسية غير مسبقة، إذ تم الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني عبر الاعتراف الإسرائيلي الأمريكي بسكان الضفة والقدس والقطاع على أنهم جزء من الشعب الفلسطيني وليسوا أردنيين.

أدركت "إسرائيل" أن لاحتلال تأثير سلبي على المجتمع الفلسطيني كما أن القيادة العسكرية أعلنت عن عدم وجود حل عسكري للصراع مع الفلسطينيين، مما يعني ضرورة البحث عن حل سياسي بالرغم الرفض الذي أبداه رئيس الوزراء إسحق شامير عن بحث أي تسوية سياسية مع الفلسطينيين.

أدت هزيمة صدام حسين خلال حرب الخليج الثانية إلى ارتياح في داخل المجتمع الإسرائيلي مما يعني نهاية تهديد محتمل من "الجهة الشرقية" واستبعاد فكرة احتمال تشكيل قوات تحالف عربية لمهاجمة إسرائيل، مما أدى إلى تغير الشعور الإسرائيلي بالتهديد فاكتمت إسرائيل القدر الكافي من الثقة الذي يمكنها من القيام بمبادرات سياسية أكثر خطراً على العرب عندما قام الابن جورج بوش استخدام نتائج الحرب على نقطة انطلاق لعملية سلام بين العرب والدولة العبرية والدول قرار الجامعة العربية، فجاء مؤتمر مدريد الذي شكل بداية لمفاوضات السلام الثنائية بين وإسرائيل التشاور مع الفلسطينيين حكم ذاتي.

تم إجراء بعد ذلك عدد من المفاوضات غير العلنية بين الفلسطينيين والإسرائيليين في التي أدت إلى التوصل لاتفاق أوسلو الذي أدى لانسحاب إسرائيلي تدريجي من المدن الفلسطينية، بدأ بغزة أريحا عام 1994، وتواصل مع باقي المدن الخليل وقلب مدينة القدس، مما يتنافى مع الاتفاق.

كان أن قد سبق التوقيع تبادل عدد من الرسائل بين ياسر عرفات وإسحق رابين تعترف فيه منظمة التحرير بحق المنظمة إلغاء الإرهاب وبحق إسرائيل بالوجود، المقصود به مقاومة الاحتلال من وجهة النظر الإسرائيلية، في المقابل تلتزم إسرائيل بإيجاد حل سلمي للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي واعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل الشعب الفلسطيني.

تم إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية التي أصبحت لها السيادة مكان الإدارة المدنية الإسرائيلية تنفيذاً للاتفاقات الموقعة.

في سبتمبر من عام 1995 تم توقيع اتفاق جديد سمي بأوسلو 2 وتضمن توسيع الحكم الذاتي الفلسطيني من خلال تشكيل أي وهو هيئة حكم المجلس الوطني 20 كانون سنة 1965 تم إجراء أول

انتخابات رئاسية وتشريعية فلسطينية إلى السلطة الفلسطينية في آب/ أغسطس من عام 2004 وتم نقل الصلاحيات والمسؤولية إلى ممثلين فلسطينيين في الضفة الغربية في خمسة مجالات محددة: التعليم والثقافة، الصحة، الرفاه الاجتماعي، الضرائب المباشرة والسياحة.

الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى)

في مطلع عام 1999 ساد شعور عام بالإحباط عند الفلسطينيين لانتهاء الفترة المقررة لتطبيق الحل النهائي بحسب اتفاقية أوسلو والشعور بخيبة الأمل بسبب المماطلة وجمود المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والصهيوني بعد مؤتمر قمة كامب ديفيد والتي توضح أن محاولة "إسرائيل" بدعم من الولايات المتحدة فرض حل على الفلسطينيين بعيداً عن قرارات الأمم المتحدة والشرعية الدولية بقراراتها (194، 338، 242) تلك إلى جانب عدم تطبيق "إسرائيل" إلى عدد من الجوانب التي اتفق عليها في أوسلو أو الاتفاقيات والمفاوضات اللاحقة.

واستمرار الصهاينة في سياسة الاغتيالات والاعتقالات والاجتياحات لمناطق السلطة الفلسطينية ورفض الإفراج عن الأسرى بالإضافة إلى استمرار بناء المستوطنات واستبعاد عودة اللاجئين واستبعاد الانسحاب لحدود عام 1967 جعل الفلسطينيين بفشل واستحالة الاتفاق مع الصهاينة والمحاادثات مضيعة للوقت وفي ظل هذا الشعور العام بالإحباط والاحتقان السياسي قام رئيس وزراء "إسرائيل" الأسبق أرييل شارون باقتحام المسجد الأقصى وتجوّل في ساحاته وقال أن الحرم القدسي سيبقى منطقة إسرائيلية مما أثار استغزاز المصلين الفلسطينيين فاندلعت المواجهات بين المصلين وجنود الاحتلال في ساحات المسجد الأقصى فسقط سبعة شهداء وجرح 250 وأصيب 13 جندي إسرائيلي وكانت هذه بداية، انتفاضة الأقصى.²

بدأت الانتفاضة في 28-9-2000 وتوقفت فعلياً في 8-2-2005 بعد اتفاق الهدنة التي عقدت في شرم الشيخ والذي جمع الرئيس الفلسطيني الجديد المنتخب حديثاً ورئيس وزراء إسرائيل أرييل شارون.

وتميزت هذه الانتفاضة عن سابقتها بالعنف المسلح وتصاعد الأعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي راح ضحيتها 4412 شهيداً فلسطينياً وجرح 48322 جريح وأما خسائر الجيش

²: الموسوعة الفلسطينية خاص مج5 ص 25

الإسرائيلي 334 قتيلاً ومن المستوطنين 735 قتيلاً ليصبح مجموع القتلى الصهاينة 1069 قتيلاً و4500 جريح وعطب 50 دبابة من نوع ميركافا وتدمير عدد من الجيئات العسكرية والمدركات. تعرضت مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة خلالها باجتياحات إسرائيلية منها عملية الدرع الواقي وأمطار الصيف والرصاص المصبوب.

من نتائج انتفاضة الأقصى:

- تصفية معظم الصف الأول من القادة الفلسطينيين (ياسر عرفات، أحمد ياسين، وعبد العزيز الرنتيسي، وأبو علي مصطفى).
- تدمير البنية التحتية الفلسطينية، تدمير مؤسسات السلطة، تدمير ممتلكات المواطنين واستشهاد عدد كبير من أبناء فلسطين.
- بناء الجدار العازل وآثاره المدمرة على الشعب الفلسطيني المعذب تحت رعاية الأمم المتحدة المناقفة وتبريكات بعض حكام العرب المنبطحين خوازيق الزعامة الصهيونية.
- تطوير المقاومة للصواريخ كماً ونوعاً وفشل إسرائيل في قضائها على المقاومة بتأليب بعض الحكام من العرب ضد المقاومة وفرض حل على الفلسطينيين حسب مخططات إسرائيل في تصفية القضية وحرمان أهل فلسطين من حقوقهم وابدانهم وتزويجهم في المجتمعات الأخرى لكن مكرهم سيرتد عليهم والتاريخ لا يرحم المستبدين والعنصريين وشعب فلسطين سيظل الشوكة التي تنغص حياتهم والعاقبة للمتقين الصابرين.

نتائج انتفاضة الأقصى على الإسرائيليين:

- (1) انعدام الأمن في الشارع الإسرائيلي بسبب العمليات الاستشهادية.
- (2) ضرب السياحة في إسرائيل بسبب العمليات العسكرية.
- (3) اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي (زئيفي) على يد أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
- (4) إلحاق عدد من القتلى الإسرائيليين بسبب اجتياحات المدن الفلسطينية والاشتباكات مع المقاومة.
- (5) مقتل قائد وحدات الهبوط المظلي الإسرائيلي (الكوماندوس) في معركة مخيم جنين.

6) تحطيم مقولة الجيش الذي لا يقهر في معركة مخيم جنين الذي قتل فيه جندي إسرائيلي وجرح 1422.

7) ضرب اقتصاد المستوطنات الإسرائيلية لقد تفاعل الشارع العربي مع الانتفاضة لدرجة أن دولاً لم تعرف المظاهرات مثل دول الخليج خرجت فيها مظاهرات تأييداً للانتفاضة وهو ما أخرج الأنظمة العربية التي عقدت بعدها مؤتمراتها المناقفة لتخدير الناس ولا زالت.

الانتفاضة الثالثة انتفاضة القدس لنصرة الأقصى

حاولت وتحاول "إسرائيل" توظيف الصراعات العربية بعضهم ببعض فجمدت مفاوضات السلام التي نبذتها ورأت أن الوضع يخدم طموحاتها وأخذت تسرع بسلخ الأراضي من القرى المراد إقامة المستوطنات عليها ونشط الاستيطان رغم استنكار دول العالم بما فيها الأمم المتحدة رغبة الاستعمار هذه الأيام وطاب لحزب الليكود ورئيسه مع الإرهابي الصهيوني نتينياهو وليبرمان العنصري رؤية خذلان القادة العرب وتآمرهم معهم على المكشوف مع عدو العرب وتعاون مخابراتهم مع من يكرهون شعوبهم. إذ أخذ البعض منهم يمارس الضغط على المقاومة الفلسطينية وينعتهم بالإرهابيين فزادت سلطة الاحتلال من جبروتها وتابعت عدوانها السافر على الفلسطينيين بزيادة نهب الأراضي ونسف البيوت ومهاجمة وتعذيب السكان بالجملة حتى سكان 1948 لم يسلموا من التتكيل باعتبارهم عرب وأطلقت العنان لعصابات من المتشددین العيث بأملأك وأرواح عرب فلسطين بغية تطفيشهم من حرق بيوت مع ساكنيها وحرق شجر الزيتون وقطع اشجار الفواكه وتجريف التربة والاعتقال المبرمج للنشيطين آخرها يوم الجمعة في 14 تموز/ يوليو 2017 إغلاق المسجد الأقصى المبارك الذي يعتبر عند المسلمين أول القبلتين وثالث الحرمين وتصريحاتهم العدوانية والاستفزازية لأهل فلسطين وتصميمهم في تهويد كل فلسطين والأمم المتحدة خائفة لا تقوى على نصره المظلوم بأمر من الولايات المتحدة الأمريكية والأغرب من ذلك من رؤساء الغرب أنهم يطلقون التصريحات في انتقاد "إسرائيل" على ما تقوم به ويتجاهلون ممارسة الرد عليها عملياً.

وقد قام شعب فلسطين بالداخل والخارج متحديا سلطات الاحتلال والتزم المقدسيون واحتشدوا أمام مسجدهم وأدوا صلاة الجمعة حول أبوابه واشتبكوا مع القوات الإسرائيلية بصدورهم وأجسادهم وأيديهم الفارغة في مقاومة أسلحة الجنود الفتاكة طالبين الشهادة ويبرهنوا للعالم أجمع أن حرمة الأقصى أعلى من الروح والجسد وقابلت سلطات الاحتلال كعادتها هذا التحدي بزيادة العنف بإصابات من قنابل الدخان والرصاص المطاطي والاعتقالات ومضاعفة الجرحى وشعب القدس صامد ووراءه أهله في فلسطين، لم



يعرف الغرب بعد بأن الصهيونية باتت عبئاً عليهم وقد يأتيهم دور ما حل بالزعامات العربية من ذل واحتقار حتى قام بعض الساسة في الولايات المتحدة يشعرون بسطوة منظمة (آيباك) الأميركية الصهيونية على الحكم ودورها باحتلال الكونغرس، والبنّاغون ثم البيت الأبيض هذه الأيام.

إن حركة التاريخ عبر الزمان والمكان تثبت لنا بأن الأحداث تتشابه في كثير من الأحيان ويبقى التغيير في النظم حاصلاً والعدل والمساواة ونبذ الظلم وتحقيق العدل هو سمة البشر ضد الأشرار.

المراجع:

- (1) الموسوعة الفلسطينية خاص ج6 ص 1006 شفيق الحوت وبيان نويهض
- (2) الموسوعة الفلسطينية خاص ج6 ص 1008 شفيق الحوت وبيان نويهض

المصادر والمراجع

- بلاطة، كمال. الموسوعة الفلسطينية المجلد 4، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- الخالدي، رجا. الموسوعة الفلسطينية خاص المجلد 1، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- الدباغ، مصطفى. "بلادنا فلسطين - القسم الأول - الجزء الأول"، بيروت: دار الطليعة، 1965.
- الدباغ، مصطفى. "بلادنا فلسطين - القسم الثاني - في الديار النابلسية 2"، بيروت: دار الطليعة، 1965.
- سحاب، فيكتور. الموسوعة الفلسطينية خاص المجلد 4، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- عبد السلام، عادل. الموسوعة الفلسطينية - المجلد 1، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- عبد القادر صالح، حسن. الموسوعة الفلسطينية مجلد خاص، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- عبد القادر، حسن. الموسوعة الفلسطينية مجلد خاص، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- الماضي، مروان. أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير، عمان: دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.
- الماضي، مروان. الإمبريالية الصهيونية والتمييز العنصري. دمشق: دار الفكر، 2005.
- الموسوعة الفلسطينية - المجلد 1، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- الموسوعة الفلسطينية - المجلد 2، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- الموسوعة الفلسطينية - المجلد 3، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- الموسوعة الفلسطينية - المجلد 4، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- موقع فلسطين في الذاكرة <http://www.palestineremembered.com>
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

المؤلف في سطور



- ثانوية عامة آداب (اجتماعيات).
- بكالوريوس آداب قسم (الجغرافية).
- دبلوم عام في التربية من جامعة دمشق.
- شهادة في التوجيه التربوي أونروا/ يونيسكو.
- شهادة تربوية في تدريب المعلمين أثناء الخدمة.

الأعمال التي شغلها:

- معلماً للابتدائي والإعدادي والثانوي ومدرساً لمادة التقنيات التربوية في كلية التربية بجامعة دمشق.
- مدرب للمعلمين في مدارس الأونروا في تدريس مادة الاجتماعيات لمدة 23 سنة.
- مشرف على إدارة دورات التوجيه والإرشاد في مدارس الأونروا في مدارس الوكالة، وموجهاً لمادة الاجتماعيات في مدارس الأونروا لمدة أربع عشرة سنة.
- عمل موجه لمادة الوسائل السمعية والبصرية في مدارس الأونروا لمدة سبع سنوات.
- أمين صندوق في رابطة الطلاب الفلسطينيين في سورية لمدة سنتين (اتحاد طلاب فلسطين).
- أمين سر الجمعية الجغرافية الفلسطينية في سورية.
- عضو باتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين العرب في سورية

مؤلفاته:

- (1) بلدة كفرسوسة (رسالة جامعية للتخرج).
- (2) قرية إجزم.
- (3) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير.
- (4) الإدارة الأميركية المحافظة وتسييس نبوءات التوراة.
- (5) الإمبريالية المتصهينة والتمييز العنصري.
- (6) مذكراتي.

كتب قيد النشر

مشروع قرى وبلدات فلسطين أصبحت مدناً بالتعاون مع موسوعة القرى الفلسطينية

الطيبة	أم الفحم	قليلية	شفا عمر
برقة نابلس	باقة الشرقية	عراة البطوف	بيت أمر
سخنين	طمرة	دالية الكرمل	بعنة
إكسال	طرعان	أبو سنان	أرطاس
أولي الخليل	إذنا الخليل	الرامّة	الرينة
بلدة الشيوخ	الفريديس	اللقية النقب	بلدة المشهد
بلدة المغار	باقة الغربية	بديّة	برقين
بلاطة نابلس	بلعا طولكرم	بني نعيم	بورين
بيت ساحور	بيت فجار	بيتونيا	بئر زيت
ترقونيا	ترمسعيا	تل السبع	جسر الزرقاء
جلجولية	جماعين	جولس	ححول الخليل
حوارة نابلس	حوارة النقب	دبورية	دير إستيا
دير الأسد	دير حنا	سعير الخليل	سلواد
سنجل	شعب	شعفاط	سقيف سلام
شويكة	صوريف	طمون	طوبا الزنجرية
عيسان	عتيل	عزون	عسفيا
عصيرة الشمالية	عقرباء نابلس	عنبتا	عورتا نابلس

عين ماهل	قبلان النابلسية	قفين	كفر الديك
كفر ثلث	كفر قاسم	كفر قدوم	كفر قرع
كفر كُنا	كفر ياسيف	مجدالكروم	ميثلون
نعلين	عيلبون	كفر راعي	جديدة عكا والمكر
بيت جالا	بيت حنون	بيت حنينا	بيت عمر التحتا
خان يونس	دير البلح	دير دبوان	دير غساني بيت ريما
سلفيت	سيلة الحارثية	سيلة الظهر	طوباس
عارة وعرعة	عرابة جنين	عرعة النقب	علا طولكرم
كابول	كفر مندا	بلدة السموع	بني سهيلا
بيت لاهيا	جباليا	دورا الخليل	راهط
رفح	سلوان	طيرة المثلث	قلنسوة
كسيفة	يعبد	يافا الناصرة	يطا